برعاية السيد الرئيس

حافظ الأسد

رئيس الجمهورية العربية السورية

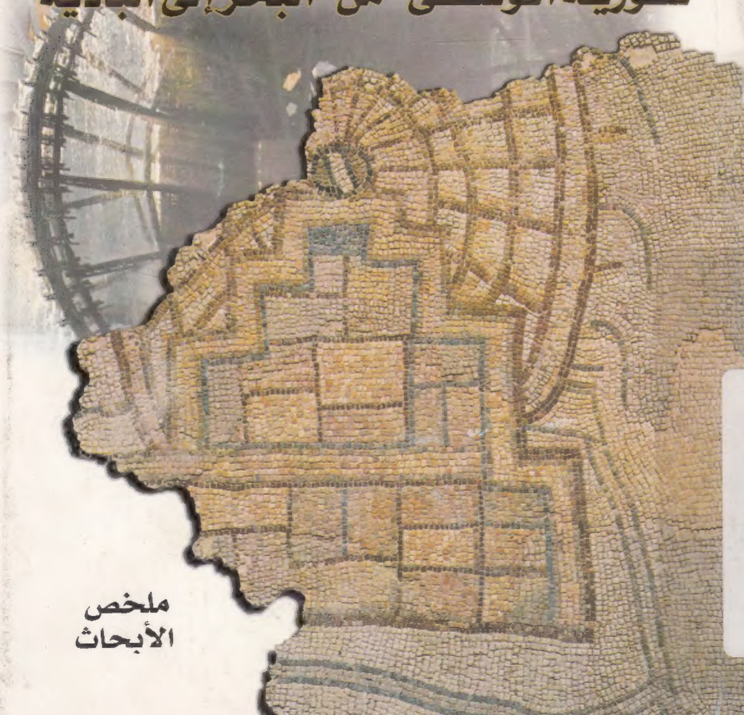
وزارة الثقافة - المديرية العامة للآثار والمتاحف

بالتعاون مع

المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا والصندوق الوطني البلجيكي للبحث العلمي

الندوة الدولية

سورية الوسطى من البحر إلى البادية



ملخص الأبحاث

ملخصات
الأبحاث

برعاية السيد الرئيس حافظ الأسد
رئيس الجمهورية العربية السورية

وزارة الثقافة – المديرية العامة للآثار والمتاحف

تقيم بالتعاون مع

المركز الوطني للبحث العلمي، فرنسا

الصندوق الوطني البلجيكي للبحث العلمي

الندوة الدولية

سورية الوسطى من البحر إلى البادية

حماة ٢٧/٩ – ٢/١٠/ ١٩٩٩



دمشق
١٩٩٩

الشعار: ناعورة فسيفساء من القرن الخامس الميلادي عثر عليها في أفاميا

الاشراف والتدقيق: م. هزار عمران
ترجمة النصوص: عادلة طالبي – أديب جناد – عمار عبد الرحمن
التنضيد على الحاسوب: جان بشماف – ماري اظن
تصميم الشعار: م. لينا قطيفان
الإخراج الفني: منذر سعد الدين

تمت عمليات الطباعة والسحب في مطابع وزارة الثقافة بدمشق

كتيب أعد بمناسبة الندوة الدولية: **سورية الوسطى من البحر إلى البادية**
حماة، ٢٧ أيلول – ٢ تشرين الأول ١٩٩٩

وزارة الثقافة – المديرية العامة للآثار والمتاحف
١٩٩٩

البيئة الجغرافية الطبيعية لسورية الوسطى

عادل عبد السلام
(جامعة دمشق، سورية)

تؤلف البيئة الجغرافية الطبيعية الأساس لأشكال الاستيطان البشري وقيام التجمعات السكانية في سورية الوسطى وفي كل مكان في العالم.

بعد تحديد مفهوم (سورية الوسطى) مقارنة بالتقسيم الجغرافي الإقليمي لسورية إلى ثمانية اقاليم، دُرست العناصر الجغرافية الأساس المكونة للبيئة، مثل التضاريس والجيولوجية والمناخ والماء وغيره، وقد تبين أن أحد أبرز خصائص الإقليم هو (التنوع البيئي الطبيعي) نتيجة للإتساع الكبير للإقليم على مساحات ذات بيئات مختلفة، ولوضعية العوامل الجغرافية المؤثرة في النظم البيئية.

يعد عامل التضاريس بعنصريه (الارتفاع) و(المحور والإتجاه) من أبرز العوامل التي اثرت وماتزال تؤثر في نظم البيئات في سورية الوسطى، إذ يتحكم الارتفاع بكثير من مكونات الأنظمة البيئية الطبيعية عمودياً من مستوى السهول الواطئة حتى أعالي الجبال، كما يقوم عنصر الارتفاع بدورحاجز طبيعي (جبلي) يفصل بين منظومة بيئية ومنظومة أخرى.

أما عنصر الاتجاه فيقوم بدور مهم في توحيد حركة المكونات البيئية وتوزيعها وتحديد محاور انسيابها، ويسود في الإقليم المدروس محوران رئيسان للتضاريس هما: المحور الشمالي -الجنوبي، والمحور الجنوبي الغربي -الشمالي الشرقي. وتقف سلاسل الجبال الساحلية في مواجهة الكتل الهوائية الرطبة القادمة من الغرب، باستثناء فتحة حمص -طرابلس التي تسمح بتوغل الرياح والكتل الهوائية المتوسطية بعيداً في الأنحاء الداخلية من الإقليم، وبالتالي يخضع المناخ، أحد أهم العوامل المؤثرة في البيئة، لتاثير السلاسل الجبلية ولفتحة حمص- طرابلس وتحكمُهما به.

في ضوء ماتقدم تتألف سورية الوسطى من ست وحدات بيئية أصغر، تؤكد صحة الخاصية التي تقدم ذكرها في (التنوع البيئي الطبيعي) للإقليم المدروس.

عانت النظم البيئية الجغرافية في سورية الوسطى وخارجها ومازالت تعاني من اعتداءات الإنسان وتدخله في النظم البيئية منذ عدة آلاف من السنين، ابتداءً من القرون الباكرة لقيام « الثورة الزراعية » في الحضارة الإنسانية وحتى اليوم عصر الثورة التقنية والمعلوماتية لقد تسبب استعمال الأراضي للتوسع الزراعي وإزالة الغابات، والرعي الجائر، والتوسع العمراني والتزايد السكاني في تخريب أغلب مكونات البيئة الطبيعية، فتغيرت الأقاليم الطبيعية، ونتج عن ذلك ظهور « نظم بيئية غير طبيعية - أو حضارية مصطنعة »، لافي سورية الوسطى وحدها، بل في بلدان بلاد الشام كافة التي تعيش تزايداً في السكان (٣٥ مليون نسمة ١٩٩٨) وتقلصاً في الموارد، واعتداءً على البيئة، الأمر الذي يؤدي إلى تحطيم العلاقة الإيجابية بين الإنسان والبيئة، وبالتالي إلى تعرض المعالم الحضارية والتاريخية والمواقع الأثرية إلى أخطار مستقبلية تستدعي التشدد في حمايتها وصيانتها أسوة بمخططات حماية البيئة الطبيعية في سورية.

حماة في عصور ماقبل التاريخ

سلطان محيسن
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

لقد أتت المعلومات الأهم عن منطقة حماة في عصور ماقبل التاريخ من حوض العاصي الأوسط الذي يشكل الإمتداد الشمالي للانهدام السوري ـ الإفريقي، حيث أمكن تحديد تعاقب تشكلات جيومورفولوجية رباعية كانت محفوظة بشكل جيد، أهمها المصاطب النهرية العائدة إلى عصر البليستوسن التي تدل على مراحل مناخية مطيرة، وقد أعطت هذه المصاطب أدوات حجرية، دلت على استيطان المنطقة في العصر الحجري القديم، بينما احتوت المصاطب النهرية التي تعود إلى عصر الهولوسن على مواد أثرية تعود إلى المراحل الأخيرة من عصور ماقبل التاريخ وإلى العصور التاريخية.

إن أول دليل على الاستيطان الفعلي هنا يعود إلى بداية العصر الحجري القديم الأدنى، ويمكن أن يؤرخ من حوالي مليون سنة خلت، مثلته بعض الأدوات الحجرية المترافقة مع ترسبات السرير النهري الرابع، QFIV، المسماة « تشكيلة خطاب »، وقد وجدت هذه الأدوات في بعض المناطق، أهمها موقع خطاب في حوض العاصي الأوسط.

لقد تحقق الاستيطان الفعلي لمنطقة حماة في الفترة التي تعود إلى حوالي ٦٠٠ الف سنة خلت، وهي الأشولي الأوسط، إذ تم الكشف عن عدة مواقع أهمها أرضية السكن في موقع اللطامنة المعاصر لترسبات السرير الأعلى، النهري الثالث، QFIII، « تشكيلة اللطامنة ». لقد تم التنقيب في هذا الموقع في الستينات، وعثر فيه على معطيات هامة وبخاصة صناعات حجرية متميزة أهمها الفؤوس اليدوية، ودلائل لمعرفة البناء واستخدام النار، وفي مرحلة الأشولي الأعلى التي تعود إلى حوالي ٤٠٠ ألف سنة خلت، اتسع الاستيطان وكشف عن مواقع عديدة من هذا العصر كانت متعاصرة مع ترسبات السرير الأوسط، النهري الثاني، QFII، « تشكيلة جرابيات »، ويعتبر موقع القرماشي الذي نقب في الثمانينات أهم موقع من

الفترة اللاحقة، أي الأشولي الأعلى المتطور الذي يعود إلى حوالي ٣٠٠ ألف سنة خلت، وهو ثاني أفضل موقع في هذه المنطقة، ومحفوظ بشكل جيد بعد اللطامنة، كما تم الكشف عن صناعات حجرية انتقالية بين العصر الحجري القديم الادنى والعصر الحجري القديم الأوسط في عدة مواقع أهمها تلول دفاعي الذي يمكن أن نؤرخه من حوالي ٢٠٠ ألف سنة خلت. إن الآثار التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط ضئيلة نوعاً ما على الرغم من أنها تواجدت في عدة مواقع مترافقة مع ترسبات السرير الأدنى، النهري الأول، QFI، « تشكيلة السّاروت التي تعود إلى حوالي ١٠٠ ألف سنة خلت.

لم يعثر حتى الآن على دلائل أثرية من العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري القديم الأخير والعصر الحجري الحديث ماقبلْ الفخار. ولكن المنطقة استوطنت من جديد في العصر الحجري الحديث الفخاري في الألف السادسة ق.م كما دلت على ذلك تنقيبات تل حماة ولازال السؤال مطروحاً عن أسباب غياب آثار العصور المشار إليها، ولكن الاستيطان عاد إلى المنطقة في العصر الحجري الحديث الفخاري، في الألف السادسة ق.م كما دلت على ذلك تنقيبات تل حماة.

وأخيراً نشير إلى أن صورة الاستيطان البشري لهذه المنطقة في العصر الحجري القديم ليست كاملة، لأن الصناعات الحجرية، المترافقة مع الفترات الدافئة الفاصلة بين العصور المطيرة في البليستوسن، لاتتواجد في أحواض الأنهار وإنما على الشواطىء البحرية، كما ولابد من ابحاث أخرى للتأكد من حقيقة غياب الاستيطان في الفترات التي أشرنا إليها.

مساهمة جغرافية في علم الآثار في جبل الزاوية

جاك بيزانسون وبيرنار جيير
(بيت المشرق، فرنسا)

يقع جبل الزاوية جنوب الجبال الصغيرة الكلسية الواقعة في جنوبي الشمال السوري بجوار جبال وسطاني، دوليل، باريشا، الاعلى وسمعان، ونجد هناك بقايا محفوظة نوعاً ما لقرى عديدة « المدن الميتة » تعود إلى المرحلة الرومانية ـ البيزنطية، كما نجد الابنية القروية التي كانت تابعة لها، واخيراً نجد بقايا حضارات أقدم، وصلت إلينا على شكل تلال.

تسمح كل هذه البقايا بتوقع حضارة زراعية بحتة، حيث تؤكد الديمومة الطويلة تأقلماً جيداً مع الظروف الطبيعية للمنطقة. لقد اعتمدت هذه الحضارة خصوصاً على زراعة الحبوب المروية وزراعة الأشجار من أصل متوسطي، إلاّ أن الوثائق الخاصة بالتقنيات توجب عدم تجاهل الصعوبات البيئية ـ الجغرافية للوسط المحلي، فوجود أشكال مختلفة من التضاريس كالانحدارات، وخطوط الارتفاعات، والعرض، والتوجيه، وعدم تساوي الهطولات المطرية، ونفوذية وخصوبة الأرض، فرض على المزارعين المحليين بذل الجهود للتأقلم مع ظروف الأرض. لقد أثر ذلك حتماً على اختيار مواقع السكن، وعلى الأرجح على المنتوجات الزراعية، وقد سمح تحليل الصعوبات البيئية ـ الجغرافية بفهم أفضل لمراحل إشغال الكتل الكلسية منذ عصور ما قبل التاريخ حتى هجرها الأخير.

العصر الحجري الحديث في أفاميا

مارسيل أوت
(جامعة لييج، بلجيكا)

يقع تل أفاميا شمال حماة على حوض العاصي، ولقد تم استيطانه لفترة طويلة خلال مرحلة ما قبل التاريخ ومختلف مراحل عصر البرونز، ومنذ العصر الحجري القديم، تمركزت مستوطنة هامة على هذه التلة الموجودة على طرف السهل الغربي، وهكذا يبدو أن الاستيطان الطويل يميز هذا الموقع اذ اكتُشفت فيه مراحل العصر الحجري الحديث.

وباتصاله مع الهضاب المجاورة، وبوجوده على المحور شمال - جنوب، يساهم هذا الموقع في نطاق انتشار العصر الحجري الحديث السوري باتجاه الغرب، وبناء عليه، كان لموقع قلعة المضيق معنى جغرافي حاسم للانتشار باتجاه كيليكيا وطوروس والهضاب الأناضولية.

من بين الأدوات المميزة، نجد النبال ذات الساق المعروفة بـ« نبال العمق » والأواني البيضاء المصنوعة من الكلس والخزف الأسود المصقول، وهكذا يكون لهذه المجموعة دور وسيط هام لفهم أساليب الاستيطان وحركة انتشار العصر الحجري الحديث المشرقي.

أعمال التنقيب الأثريّة السّورية ـ اليابانية في تل الكرخ في محافظة إدلب

أكيرا تسونيكي وجمال حيدر
(جامعة تسوكوبا، اليابان ـ المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

تل الكرخ هو تجمّع تلال كبير ، يقع في الجزء الشمالي من حوض الرّوج إلى الغرب من محافظة إدلب، ويمتد التل على مساحة تزيد عن ٣٠ هكتاراً ، والمواد التي تعود إلى العصر النيوليتي منتشرة على مساحة تقارب ٢٠ هكتاراً. هذا ويمكن رؤية التل بوضوح من الطريق الذي يربط مدينة جسر الشغور بمدينة أريحا، وقد شغل التل موقعاً هاماً كنقطة التقاء طرق بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب. لقد نفّذنا عمليّات مسح عامّة ومكثّفة لحوض الرّوج في الفترة الواقعة مابين عامي (١٩٩٠ ـ ١٩٩٢)، وبيّنت نتائج هذه العمليّات بأنّه كان يوجد في الحوض نظامان للإستيطان يتميّزان بتسلسل هرمي للسلطة يعودان للفترة النيوليتيّة ، أحدهما يضم تجمّع التل الكبير المؤلف من تل الكرخ وتلّين صغيرين يعودان أيضاً للعصر النيوليتي. ولقد خطّطنا للتنقيب في تل الكرخ لدراسة نظام الإدارة لمثل هذه المستوطنة الكبيرة التي تعود للعصر النيوليتي.

بدأت عمليّات الحفر في مناطق وسط وشمال وشمال غربي تل عين الكرخ في الجزء الشمالي من تجمّع تل الكرخ في عام ١٩٩٧، وأعطت المناطق الثلاثة المذكورة طبقات نيوليتيّة هامّة، واكتشفت بين بقايا معمارية في الطبقات العليا للمنطقة الوسطى من التل بعض الحفر الشعائرية ومدافن بشرية تعود إلى مرحلة الروج 2d (٥٣٠٠ ـ ـ ٥٠٠٠ ق.م ـ تواريخ غير معدّلة)، كما عثر في الطبقات السفلى على سلسلة من أبنية تخزين ومنازل مربعة الشكل محفوظة جيّداً تعود إلى مرحلة الروج 2c (٥٧٠٠ ـ ٥٣٠٠ ق.م ـ تواريخ غير معدّلة)، وبقيت أسفل هذه الطبقات طبقات أخرى سميكة نيوليتيّة غير منقّبة في المنطقة الوسطى من التل. وعلى الرغم من أنّ الطبقات العليا في المنطقة الشمالية من التل لم تعط أية نتائج، إلا أننا وصلنا لطبقات مرحلة الروج 2c التي ظهرت فيها أبنية مستطيلة الشكل إضافة

لبنى أخرى على عمق مترين من السطح. وأثمرت الحفريّات في المنطقة الشمالية الغربية عن اكتشاف أساسات حجريّة لمنازل وحفر و أرضيّات حجريّة ومدافن تعود إلى مرحلة الروج 1 (النيوليتي ماقبل الفخار الأخير ب) وفترة الروج 2b (٦٠٠٠ - ٥٧٠٠ ق . م - تواريخ غير معدّلة).

بالإضافة إلى هذه المناطق الثلاث، اجرينا أيضاً خندق سبر صغير في أجزاء مختلفة من النصف الشمالي للتل، واثمرت هذه الأسبار عن اكتشاف بنى نيوليتيّة يعود تاريخها إلى الفترات من الرّوج 1 إلى الرّوج 2c. ودلّت جميع عملياتنا في تل عين الكرخ، وعلى مدار فصلين، على وجود سلسلة من مستوطنات نيوليتيّة واسعة تعود إلى نهاية الألف السابعة وعبر الألف السادس قبل الميلاد - تواريخ غير معدّلة. لقد تم العثور، بالإضافة إلى عدد كبير من الكسر الفخارية والرقائق الحجرية المصنعة، على المواد الهامة المستخدمة في نظام الإدارة، ومن اهم هذه المواد أختام مصنوعة من الحجر والعظم، بعضها غير منتهية الصنع، وأختام طينيّة تعطي طبعات أختام على الجانب الأمامي، و على الجانب المعاكس يوجد آثار الخيط أو علامات حبل ، بالإضافة إلى الكثير من الخرز المصنوع من حجارة محليّة وأخرى ليست محليّة كالفيروز وحجر الحيّة (حجر أخضر اللون مرقّط كجلد الحيّة) وحجر الأوبسيديان. لقد وجدت بعض الخرزات غير منتهية الصنع مع بعض القطع الصوانية، وتشير هذه المواد إلى أن مستوطنات العصر النيوليتي في تل الكرخ قد استوردت أنواعاً مختلفة من الحجارة، كما تم إنتاج وصنع الأختام والخرز داخل هذه المستوطنات بالإضافة إلى استخدامهم لنظام الأختام.

لقد بات جليّاً بأن المستوطنات النيوليتية في تل الكرخ لا تغطي امتداداً مساحياً كبيراً فحسب، بل تحوي ايضاً نظاماً اجتماعياً - اقتصادياً معقداً جداً .

سهل عكّار وصلاته مع سورية الوسطى

كارين بارتل وأنيس شيّا
(جامعة برلين الحرة، المانيا - المديرية العامة للآثار ، لبنان)

يعتبر سهل عكّارمنطقة خصبة جداً وينقسم حالياً إلى قسمين، القسم الشمالي منه يقع في سورية، أما القسم الجنوبي فيقع في لبنان، ويمثّل مع سهل البقاع المتاخم له اكثر الطرق أهميّة التي تصل ساحل البحر المتوسط مع سورية الداخلية. لقد ذُكرت هذه المنطقة مراراً اعتباراً من الألف الثانية قبل الميلاد في المصادر المكتوبة، الأمر الذي يدلّ على الدور الكبير الذي لعبته في الشؤون السياسيّة العالمية في تلك الفترة.

لقد بيّنت التنقيبات ـ التي قامت بها د. ل. بدر في تل الكزل في سورية، وتلك التي قام بها ج.ب تالمان J.P. Thalmann في تل ارقا في لبنان ، فضلاً عن أعمال المسح الأثري للمنطقة التي قام بها كلّ من ج.ب تالمان وج.سابن J.Sapin وJ.P. Thalmann و م. مقدسي، الغنى الأثري الكامن في هذه المنطقة ، الامر الذي أدى إلى تنفيذ عملية مسح نظامية لمنطقة عكار في قسمه اللبناني في عام ١٩٩٧ كمشروع مشترك بين جامعة برلين الحرّة والمديرية العامة للآثار في لبنان. وخلال الحملة التي دامت ستة أسابيع، تم مسح وتوثيق أكثر من أربعين موقعاً أثرياً تراوحت بين مستوطنات ومنازل منفردة وقبور ومقابر جماعية وصخور عليها آثار تدخل الانسان، وقد بينت النتائج الاولية وجوداً بشرياً كثيفاً في المنطقة منذ العصر البرونزي المبكر، إضافة إلى وجود متزايد لنشاطات استيطان تعود إلى العصر الحديدي، كما تم رصد وتوثيق وجود تجمع لمستوطنات اكبر مثل تل سيتس الواقع في القسم الغربي من السهل وعلى الضفة الجنوبية للنهر الكبير الجنوبي. وسوف تستعرض المحاضرة نموذجاً لمستوطنة في هذه المنطقة، إضافة لتقديم رؤية عامة لعلاقاتها وصلاتها مع المناطق المجاورة.

البعثة الكندية في
تل العشارنة بحوض العاصي*

ميشيل فورتان
(جامعة لافال، كندا)

كانت حماث Hamath مملكة أرامية مهمة، ويبدو أن حماة كانت عاصمتها، وقد شملت هذه المملكة مدناً أخرى محصنة. ويبدو أن تل العشارنة، الواقع في منطقة العاصي والمحاط بسور من اللبن يحصر مساحة ٧٠ هكتاراً تضم مدينة سفلى وقلعتين، قد لعب دوراً مهماً في حماية الحدود الغربية لمملكة حماث. لقد عهدت المديرية العامة للآثار والمتاحف هذا الموقع إلى البعثة الكندية بإدارتي للتنقيب فيه، ويعتقد بعض المختصين في علم اللغة كالباحث كلنغل، أنه قد يكون من الممكن مطابقة تل العشارنة مع موقع مدينة تونيب Tunip العائدة للألف الثانية والمشار إليها في نصوص إبلا والعمارنة والإمبراطورية الحثية، إلاّ أنه خلال زيارة كورتوا Courtois للمنطقة في بداية السبعينات، أثبت أن إشغال هذا الموقع قد بدأ منذ عصر البرونز القديم إلى عصر الحديد، وذلك حسب الكسر الفخارية السطحية وفي خريف ١٩٩٨، أكدت الأسبار التي قامت بها مجموعة مصغرة عن البعثة الكندية انتساب الموقع إلى هذه المرحلة، فبفضل الأسبار التي حفرناها على طول منحدر إحدى القلعتين، أصبح لدينا حالياً مجموعة فخارية تغطي كل هذه المراحل. وبالإضافة إلى الدراسة المقارنة التقليدية لهذا الفخار (بخاصة مع فخار حماة) التي سنقدمها بإيجاز، فقد قمنا مباشرةً بعد إنتهاء اعمال البعثة بتحليل عجينة أنواع الكسر الفخارية الأكثر تواجداً، ورغم أن نتائج هذه البحوث أولية، إلاّ أنها تجعلنا نتوقع وجود طرق جديدة لتصنيف هذه الأدوات. وفي المستقبل القريب، ننوي القيام ببعثات تنقيب أخرى حسب المخطط الذي سيُعرض.

حول تحديد مواقع
بعض المدن القديمة في حوض العاصي

علي أبو عساف
(باحث، سورية)

تغني الوثائق المصرية معلوماتنا التاريخية عن بلاد الشام، ونخص بالذكر وثائق ملوك مصر من السلالة الثامنة عشرة التي درسها العديد من العلماء، وكلما اكتشفت وثائق جديدة، أسعفتنا في تحديد مواقع الأعلام الجغرافية التي نجهلها. ومن الباحثين من زار بلاد الشام لهذا الغرض، ومنهم من اكتفى بدراسة المصورات الجغرافية.

لقد اقتديت بالباحثين الذين سبقوني، مدركاً أهمية إعادة دراسة أسماء المدن والقرى والضياع والمناطق المنقوشة أسماؤها على جدران معابد الكرنك، والتي غزاها تحوتمس الثالث ١٤٩٠ - ١٤٣٦ق.م أثناء حملته الثامنة على بلاد الشام في عام حكمه الثالث والثلاثين، فقمت، وحسب ماتقتضيه الدراسة، بجولة استكشافية، شملت التلال والخرب الأثرية المنتشرة بين ساحل البحر المتوسط في الغرب، وحمص في الشرق، وعلى ضفاف العاصي، والسهول الممتدة إلى غربه وشرقه، وفي محافظة حلب، وحوض الفرات الواقع بين جرابلس في الشمال ومسكنه في الجنوب، وهي المناطق التي زحفت عليها جيوش تحوتمس الثالث. والغاية من ذلك، دراسة بقايا الآثار المنقولة الظاهرة على سطح التل / التلال التي نتعرف بواسطتها على عصور طبقات التل مبدئياً، وبهذه المناسبة قد نقف على اسم التل الحقيقي، وفيما إذا كان قد تبدل، وذلك من المعلومات التي نحصل عليها من الأهالي.

لقد أسعفتني هذه الجولات، والمعلومات التي جمعتها في الانحياز إلى الباحثين الذين يقولون بأن جيش تحوتمس قد زحف من ساحل المتوسط حتى حمص شرقاً، ومنها اتجه شمالاً عبر سهول الحولة والغاب والروج وجبل سمعان إلى حلب، ثم إلى جرجميش / جرابلس ماراً بحوض الفرات حتى مسكنة / إيمار، ومنها عاد إلى النيرب، فنعيا / قلعة المضيق، فحسيا، فمصر.

لقد سار الجيش في زحفه هذا، منقسماً إلى كتائب تنتشر على جبهة عريضة وتتخذ لها سمت مسير واحد، توضحه لنا مواقع الأعلام الجغرافية التي حددناها على الخارطة في مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية العدد ٢٦ ـ ١٩٧٦ ص ١٦٧-١٩٢.

ليس هذا وحسب، بل تبين لي أن أكثرية التلال الأثرية لاتزال تحتفظ بأسمائها القديمة، كما وردت في الوثائق المصرية والمحلية القديمة مثل تل (أيو) جنوب حماة، أو دخلت في أسماء مركبة، وأدغم آخر حرف منها بما قبله مثل كفر نوران التابعة لمحافظة حلب، ناحية الزربا، واسمها القديم، على الأرجح، نوراناز.

ومما يسترعي الإنتباه أن أسماء بعض المناطق هي وصف لتضاريسها الطبيعية، وهي محفوظة في أدبياتنا القديمة أو لانستعملها الآن مثل (وعن) التي أطلقها المصريون على الأراضي الممتدة من معرة النعمان حتى جبل سمعان، وهي الأراضي الوعرة ذات المسالك الصعبة، والغابات التي مازالت بقاياها شاهداً عليها، وفي اللغة العربية، الوعنة: الأرض الصلبة، أو بياض في الأرض، كأنه وادي نمل لاينبت، والوعان خطوط في الجبال شبيهة بالشؤن (أي المسالك).

هذا شيء، والشيء الآخر، الذي يستحق الذكر، أن ثبت تحوتمس الثالث الذي نحن بصدد دراسته، قد حوى أسماء مثل رقم ٣٤٣ شوصاران/شو زاران، ورقم ١٤١ زيراشو/زيوراشي، ورقم ١٣٧ زاراتا، وهي توصيف اسمي لمواقع على حوض العاصي، أي أسماء مركبة من كلمة زور مضافة إلى شو/شي، وهذا مانجده الآن في محافظة حماة، ويتمثل بأسماء قرى مثل: زور الوحل، وزور العشارنة، وزور سيفاتا ....إلخ، والزور هي حوض النهر أو سريره. راجع بشأن الأرقام بحثنا: مسار حملة تحوتمس الثالث الثامنة على بلاد الشام، الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلد ٢٦ (١٩٧٦) ص١٦٧-١٩٢.

النهوض بحضارة شمالي سورية في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد

انطوان سليمان
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

تضم حضارة شمالي سورية مرحلتين أساسيتين تشمل المرحلة الاولى كلاً من سويات المواقع التالية: تل مرديخ ـ(11B1) وحماة (J8-6)، ويمكننا أن ندرج كلاً من سهل العمق I وتل الطعينات (I-) وتل رفعت (IV-III) وام المرأة (IV) وتل السلنكحية (III)، وتل أحمر (المقبرة الفردية)، والانصاري (VIII) وعين عسان (المقبرة الأولى والثانية) وتل مازن (A)، ومشرفة قطنا (المقبرة الرابعة IV)، وممباقة وحلاوة وتل الحديدي وجنديرس (rVIII) وعين دارا (IX).

ازدهرت حضارة هذه المنطقة بشكل ملحوظ اثناء المرحلة الاولى وبخاصة تل مرديخ وذلك عبر ماوجد من مواد اثرية كالفخار والذهب والفضة وأحجار اللازورد والبرونز والأختام والرقم والعمارة والتماثيل الحجرية، ونرى أن المقبرة الفردية في تل أحمر والطبقة الثالثة IIIA في اوغاريت التي انشئت في فترة ازدهار حضارة إيبلا، ماهي إلا مؤشر على انتشار حضارة شمال سورية حتى الضفة الشرقية من الفرات واوغاريت (الساحل).

أما المرحلة الثانية فتشمل كلاً من طبقة موقع تل مرديخ (11B2) وحماة (Ju-1)، أما حماة (J5) فيجمع فخارها المرحلتين، وهاتان السويتان تتمثلان بظهور الفخار الملون مع غياب وجود فخار المرحلة الاولى، كما يمكننا أن ندرج كلاً من المواقع التالية:

سهل العمق (J)، تل الطعينات، تل رفعت (III)، انصاري (VII)، تل عاص (المقبرة الرابعة)، ودنيبي المقبرة الأولى والثانية، خان شيخون، تل مازن (B)، مشرفة قطنا (طبقة تحت الكنيسة)، تل سميريان (II)، وتل سوكاس، ومقبرة سراقب في قائمة المرحلة الثانية وتل البيعة وعين دارا (IX6) وجنديرس (VIIIb).

ولكل من المرحلتين فخارها الذي عثر عليه خارج منطقته وبالعكس ومن هنا نستطيع أن نربط حضارة الشرق فيما بينها عبر سوياتها في فترة عصر البرونز القديم الرابع (IV).

ونستند في ربطنا الزمني والمرحلي لحضارة الشرق فيما بينها على تشابه النماذج الفخارية والبرونزية والأختام وطبقات الأختام التي تؤكد على التحديد الزمني لكل مرحلة.

وفي نطاق التشابه العام بين حضارات بلاد مابين النهرين وحضارة المنطقة الساحلية وفلسطين والأناضول وحضارة الكؤوس، نجد أن المقبرة الملكية في أوركيش A، تبة كفرا ٧-٦، وشمال مابين النهرين (تل كركميش - وكره حصن - وشاغر بازار (١٧) - (V)، تل براك (طبقة عهد سرغون الأكادي) تل الجدلة (V)، وتل خويره، وتل بيدر (F) القصر، تل حمام، تل مباقة وحلاوة وتل حديدي، بيبلوس (B2) ورأس شمرا (A3) وفي فلسطين تل بيت ميرزيم (H-I)، تل دوير، جيريكو، مجدو (عهد المقابر المنجمية)، يسمح لنا بالربط الزمني والطبقي والمرحلي فيما بينهم وبين حضارة شمال سورية في النصف الثاني من الألف الثالثة ق.م.

دلت الوقائع التاريخية وتحليلاتها المنهجية على ربط عهد حضارة شمالي سورية بعصر الأكاديين وبسلالة أور الثالثة مع العلم بأن بداية حضارة شمالي سورية قد سبقت عهد سرغون الأكادي.

تلاشت المرحلة الأولى بدمار مملكة إبلا، وهكذا نرى أن هذه المرحلة قد بدأت قبل سرغون، واستمرت حتى نهاية حكم نارام سين ومع بداية ونهاية سلالة أور الثالثة، ويمكننا تأريخ هذه المرحلة منذ ٢٤٠٠ - ٢٢٥٠ق.م.

وأعقبت هذه الفترة المرحلة الثانية بطراز جديد حيث اتخذت الأواني الفخارية ميزات خاصة (الكؤوس الملونة)، ويرتبط اضمحلال حضارة شمالي سورية المرحلة الثانية بظهور سلطة القبائل الأمورية ونشوء ممالكهم في الآلاخ وجنديرس ومحاض وقطنا وغيرها، ويظهر حمورابي (١٧٥٠ق.م) في بلاد مابين النهرين (العهد البابلي القديم)، وتؤرخ هذه المرحلة بعام (٢٢٥٠ق.م - ١٩٠٠ق.م).

وقد اصطلح العالم باولو ماتيه وغيره على تسمية هذه الفترة بعصر البرونز القديم الرابع ما قبل العهد السوري القديم، ونستخلص مما تقدم أن بعض طبقات حضارة شمالي سورية تشكلت نتيجة شعب أرسى هذه الحضارة في هذه المنطقة، ونجد أن بعض التلال حوت طبقات تدل على وجود حضارة أقدم عهداً.

وقد برهنت المعطيات الأثرية بشكل غير مباشر على أن شعب حضارة شمالي سورية ظهر أول ماظهر في شمالي سورية وأقام حضارته التي تقع إلى الغرب من بلاد مابين النهرين (القبائل الأكادية)، ومن مواقع حضارة أوروك التي تقع على نهر الفرات (حبوبة ـ قناص ـ عاروده).

ونتيجة للنهاية التي آلت إليها حضارة شمالي سورية في المرحلة الأولى على يد نارام سين الآكادي، أخذت هذه الحضارة تتوسع نحو فلسطين والمناطق الساحلية، ويتجلى هذا الامر في تنقيبات تل سمريان ومجدو.

بين سورية الوسطى والجنوبية في عصر البرونز الوسيط

أحمد فرزة طرقجي
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

قليلة هي المواقع التي دُرِسَتْ في منطقة الجنوب السوري، والتي ترجع لفترة عصر البرونز الوسيط، مقارنة بالمواقع الكبيرة والشهيرة في منطقة سورية الوسطى كتل مرديخ، والمشرفة، وتل النبي مند وغيرها.

لذلك فإن صورة الروابط الحضارية المشتركة ستكون غير واضحة إذا ما أجرينا مقارنة بين هاتين المنطقتين، سواء من حيث العمارة أو الفخار المشابه، وسنصطدم بكثير من العوائق ريثما نستطيع تأكيد هذه الصلات.

ونظرياً فقد لعب الشريط الداخلي السوري الممتد إلى الشرق من سلاسل الجبال الساحلية، بدءاً من الالاخ شمالاً، وحتى أريحا جنوباً، دوراً هاماً في فترة البرونز الوسيط، كنقطة وصل بين حوض الفرات والبحر المتوسط من جهة، وبين حوض الفرات ومصر من جهة ثانية، وهو عملياً نقطة العبور الأسهل للقوافل التجارية بين مدن الشمال (ألالاخ، كينالوا، حماة، قطنة، قادش) ومواقع الجنوب ـ بلاد آبوم Apum مثل (تل سكا، تل دولاب، عشترة، تل الصالحية) ومدن فلسطين (حاصور، مجدّو، أريحا).

ومن خلال استعراضنا لعدد من الأمثلة من مواقع هذه المرحلة التاريخية، فإنه يمكننا أن نسلط ضوءاً جديداً على التشابه وطبيعة التمازج بين القسم الأوسط والقسم الجنوبي لسورية الداخلية، في كثير من المجالات ضمن إطار الممالك الآمورية / الكنعانية التي لم تسع للإتحاد مع بعضها، ولم تكن متسالمة، بل تصارعت مع بعضها حيناً، واحتمت بمن جاورها من الممالك الكبيرة أحياناً أخرى.

وسيقتصر هذا البحث ضمن هذا المنحى، حول أشكال العمارة الإدارية وتقنية صناعة الفخار والمقارنة فيما بينها.

حماة في الألف الثالثة قبل الميلاد
في نصوص إبلا

الفونسو أركي
(جامعة لاسبيانسا، إيطاليا)

قبل اكتشاف رقم إبلا، كان اسم حماة يظهر في الرقم المسمارية التي تعود لبداية الألف الأولى ق.م، وقد ظهر في الوثائق الآشورية على الشكل A-ma-at/mat أو Ha-(am-) ma- (at) ta/e/i/u، وعرفت باسم مدينة URU أو على الأغلب كارض ku .

وللأرشيف الرئيس من الألف الثانية ق.م (ماري ـ أوغاريت ـ خاتي) مظاهر جيو ـ سياسية مختلفة، ولكنه لم يحتو على اسم حماة، بينما لا تزال الرقم من قطنا قليلة جداً. وخلال ذلك الوقت كانت حماة إما تحت نفوذ مملكة قطنا أو تحت نفوذ نوهاس وتونيب (تل العشارنة)، الواقعتين إلى شرق وغرب العاصي تباعاً، وذلك في النصف الثاني من الألف الثانية ق.م. ويظهر في قائمة الاماكن التي احتلها المصريون في عهد تحوتمس الثالث (١٤٢٥ـ١٤٧٩ق.م) اسم (nt) والتي يعتقد أنها حماث Hamath، اما نصوص إبلا (٢٤٠٠ـ ٢٣٥٠ق.م) التي يحمل اغلبها الصبغة الإدارية، فإنها تسجل المئات من الأسماء الجغرافية التي سيطرت عليها هذه المدينة مباشرة، ومعظم المناطق الأخرى التي تقع شرق الفرات.

تغطي إبلا تقريباً ١٠٠٠ عام من تاريخ سورية، وتظهر ان العديد من المراكز المدنية كان موجوداً في ذلك الوقت على الرغم من أن البعض منها غير اسمه لاحقاً، وتثبت هذه الرُقم أن المكان الذي يسمى حماة كان موجوداً في ذلك الوقت.

يظهر كُلاً من: A-ma-ki وA-ma-at/du. KI عشرات المرات (Archi-Piacentni-Pomponio, I nomi di luogo dei resti di Ebla, Rome 1993, pp.130-132) ويمكن للكثير من الاسماء الجغرافية أن ينتهي أو لا ينتهي بـ: at (um) A-La-ga, KI/ A-La-ag-du. KI; A-La-ma KI A-la-ma-ad-KI: A-mi-sa-KI/A-mi-sa-du-KI.

وهكذا . . . . ولكن هذا لا يعني بالضرورة ان المقطعين يدلان على المكان نفسه، فالاسمان ـ ma. KI-A و ma-at/du.KI-A يظهران في الواقع كمدينتين مختلفتين، الأولى كانت مركزاً سياسياً هاماً في مملكة إبلا، لان منطقتها تضم العديد من المراكز المحصنة، أما الثانية فكانت واحدة من ثلاثة مراكز عبادة للإله إدابال (المدينتان الباقيتان كانتا لاروغادو في إقليم أوغاريت، وإيوبان في اتجاه إقليم العمق) وكان لها بعض مراكز التحصينات. وبينما كان كورا kura إله المعبد الرئيس في إبلا، في حين كان إله الطقس حدد Haddad إلهاً لحلب، امتدت عبادة إدابال Idabal في كل إقليم إبلا، وكان له حوالي ٢٠ مركزاً للعبادة.

مملكة إبلا بين البحر والبادية

ماريا جيوفانا بيغا
(جامعة لاسبيانسا، إيطاليا)

لقد كانت لمملكة إبلا علاقات سياسية ودبلوماسية وتجارية مع مدن الساحل رغم أنه لم يكن لها أي اتصال مباشر مع البحر، فخلال الألف الثالثة ق.م، لايبدو أنه كانت لها علاقة مع مدينة بيبلوس (جبيل) لأن علامة Du التي تكون اسم مدينة Du lu لا يمكن قراءتها على أنها Gub. من جهة أخرى لايمكن تحديد موقع مدن ساحلية أخرى، وفي هذه الحال، يستحسن تحليل العلاقات بين مملكة إبلا ومدينة الآلاخ الموثقة في كامل فترة وثائق إبلا وخلال الألف الثانية ق.م؛ إذ تذكر وثائق الآلاخ، السوية السابعة (بين عامي ١٧٥٠ و ١٦٥٠ ق.م) زواج أحد أبناء ملك الآلاخ وأميرة من إبلا، وهي ابنة عاهل إبلا. وقد كانت العلاقات مع الآلاخ ومدن عديدة من مملكتها دائماً حسنة، ونتيجة ذلك، كانت أسهل وأضمن الطرق للوصول الى البحر المتوسط تمر عبر الآلاخ التي كانت مرتبطة كذلك مع مصر.

تظهر دراسات أسماء المواقع والجغرافية التي تمت انطلاقاً من وثائق إبلا، بأنه خلال هذه المرحلة كان يوجد في سورية أكثر من مملكة تضم مدناً كبيرة، وهذا ما يدل على أنه، في هذه المساحة الجغرافية، كانت الحضارة المدنية قائمة منذ قرون، مع وجود بعض الاتحادات القبلية في بعض المناطق، وبخاصة البادية الغربية (مثل مارتو Martu) والبادية الشرقية جنوب شرق مملكة إبلا وجنوب مدينة حماة. وكما هو الحال بالنسبة لجميع دول تلك المرحلة، كانت تربية المواشي في إبلا ضرورية بما أن ثروتها كانت مبنية على تجارة الصوف. ولقد لوحظ بأن بعض المدن، مثل نرار Nirar التي لم تكن بعيدة عن إبلا، كانت مختصة في المواد المشتقة من الحليب، وغالباً ما كانت ترسلها لها كهدية.

ومن بين اتحادات المدن والقرى التي كان التنظيم في بعضها لايزال قبلياً، نذكر الاتحاد الذي كان يحكمه شوراجارو Shuragarru لفترة طويلة، وكانت له ولإخوانه دائماً علاقات

صداقة مع إبلا، إلاّ أن أهم اتحاد كان إيبال Ibal الواقع جنوب شرق إبلا، على الأغلب، بين قطنا والفرات الأوسط، ويبدو أنه كان لإيبال عدة مدن رئيسة، من بينها المدينة المسماة بـ «إيبال البادية»، وتعرف الوثائق أكثر من عشر مواقع مرتبطة بمملكة إيبال، على رأس كل منها شخص يحمل لقب «آن en» = الملك (لكنه من الواضح بأن هذا التعبير كان يطلق على الملوك الكبار والصغار على السواء)، أو لقب «أجولا Ugula» الذي يدل على رئيس قبيلة.

بما أن كل وثائق إبلا قد صنفت سنة بعد سنة وحسب ترتيب زمني نسبي، فإنه يمكن دراسة تطور العلاقات السياسية والدبلوماسية التي تربط إبلا مع بقية الدول، ويبدو مؤكداً بأنه خلال حكم إيغريش - خلام Igrish-khalam وإركاب - دامو Irkab-Damu والوزيرين الأولين أروغوم Arrugum وإبريوم Ibrium، كانت لإبلا دائماً علاقة صداقة مع إيبال. وبالفعل، تؤكد لنا النصوص العلاقات التجارية المتعددة مع هذه الدولة، لكن خلال حكم ملك إبلا الأخير إشار دامو Ishar Damu الذي دام حوالي ثلاثين سنة، والوزير الأول إبريوم، أصبحت سياسة إبلا أكثر عنفاً، إذ تصف لنا النصوص حملات عسكرية عديدة، وتظهر كيف كان إبريوم ينهب شعير العدو ويستولي على اغنامه وابقاره، ويدمر المدن ويحتلها. لقد قام ابن وخليفة إبريوم، الوزير الأول إيبي - زكير Ibbi-Zikir، بغزو مدن واتحاد إيبال ونهب اغنامها، وتذكر وثائق عديدة هذه الغزوات، ولا بد من الإشارة بأنها لا تذكر أبداً الاستيلاء على شعير إيبال، بل فقط نهب الأغنام التي كانت تمثل الثروة الأساس للإتحاد كما دمرت بعض المدن منها بودان إيبال Budan Ibal. ويذكر عدد من النصوص حملة عسكرية كبيرة قادها إيبي - زكير ضد مدينة سيدام إيبال Sidam d'Ibal، وبعد هذه الغزوات، أصبحت إيبال تحت سيطرة إبلا، كما أصبحت حليفتها في الحروب المتتالية، وكانت تزودها بالزيت بانتظام لإبقاء التحالف معها.

تحصينات إبلا خلال العصر السوري القديم

باولو ماتييه
(جامعة روما، إيطاليا)

خلال السنوات الأخيرة وضمن الأعمال المنظمة في تل مرديخ (١٩٩٥-١٩٩٨)، أبدينا اهتماماً خاصاً بالسور الكبير المبني من اللبن الذي يعود إلى مرحلة البرونز الوسيط الأول، ولقد تم فتح أربعة مواقع جديدة للعمل، وهي الآن تجدد معلوماتنا حول مجموعة تحصينات إبلا العائدة إلى العصر السوري القديم، ونظم الدفاع خلال البرونز الوسيط I - II في سورية.

خلال التنقيب في هذه المساحات الجديدة (BB, AA, Z, V)، تم اكتشاف قصر-ثكنة في أعلى الأسوار الغربية، والقلعة الغربية (المربع V)، والباب الثالث في الجانب الشمالي-الشرقي، وباب الفرات (المربع BB). أما في الجهة الأمامية للأسوار الشمالية غرب باب حلب التي لم يتم التنقيب فيها بعد، فقد بدأنا بتنقيب القلعة الكبيرة الشمالية (المربع AA).

كانت القلعتان الكبيرتان المؤسستان على قمة الأسوار الغربية والشمالية عبارة عن منشآت مقسمة إلى قطاعات عديدة ذات وظائف مختلفة تتضمن: دكاكين، أماكن للإنتاج، أماكن مراقبة الأحياء السكنية، وبرج رئيس عريض متميز من حيث النموذج، وفيه درج وست غرف بدون أبواب. ورغم أن باب الفرات في الجانب الجنوبي قد فقد أجزاء كثيرة منه في الجهة الجنوبية إلا أن نموذجه تقليدي، ذا ثلاثة أزواج من الدعائم وغرفتين عريضتين لهما مدخلان، وهو الشكل المألوف للأبواب في سورية وفلسطين خلال البرونز الوسيط II. ولقد سمح الموقع الجديد الرابع، المار من خلال الخط الوسطي للأسوار الغربية باتجاه الداخل (المربع Z)، بالتأكد من عملية بناء المصاطب وذلك بالتعرف، في الداخل، على بقايا لجدار من اللبن، وعلى جدار داعم من الحجر في القاعدة الداخلية نحو المدينة السفلى.

لقد كانت مجموعة منشآت إبلا في العصر السوري القديم بين ١٨٠٠ و ١٦٠٠ سنة ق.م، بلا شك، من أروع أنظمة البناء في المشرق القديم كله خلال الألف الثانية ق.م.

سورية الوسطى في الوثائق المصرية منذ سيزوستريس الأول الى تحوتمس

غبريلا سكاندوني ماتيه
(جامعة روما، إيطاليا)

كانت طبيعة العلاقات بين مصر، خلال الإمبراطورية الوسطى، وسورية (ونقصد هنا « سورية الوسطى » التي هي موضوع هذه الندوة) محوراً للعديد من النقاشات العلمية، ومن الضروري أن نذكر بأن مصر، خلال تلك المرحلة، تركت لنا وثيقتين حول العلاقات بين البلدين، وتتمثل الأولى في نص أدبي حول «تاريخ سنوحي»، بينما تتمثل الثانية في نصوص سياسية وسحرية، وهي « نصوص اللعنة ». ولقد نُشرت مؤخراً وثيقة ثالثة وهي ذات نمط سياسي بحت، وتتألف من جزء من حوليات امنمحات الثاني المنتسب إلى السلالة الثانية عشرة، ويبدو انه لم تُذكر في هذه الوثيقة إلاّ المناطق الآسيوية الواقعة على ساحل تركية الجنوبية ولبنان وسيناء، واسم المكان الوحيد المذكور في تاريخ سنوحي الذي قد يكون واقعاً في سورية الوسطى هو كيديم (يحتمل أن يكون المنطقة الشرقية حول إبلا). وفي نصوص اللعنة، وحسب رأي اغلبية العلماء، لا يوجد أي ذكر للمدن الواقعة في شمال منابع العاصي، مع ذلك، وحسب وجهة نظرنا، من الممكن مناقشة هذا الرأي وبخاصة إذا اخذنا بعين الإعتبار الأدوات الفرعونية للإمبراطورية الوسطى التي عُثر عليها في مدن سورية الوسطى (إبلا، قطنا، اوغاريت).

بعد المرحلة الثانية الوسيطة وطرد الهكسوس، تصدى الفراعنة أولاً لغزو ثان للنوبة، ثم اتجهوا بعد ذلك نحو آسيا : فلسطين وسورية، ويذكر امنحوتب الأول من السلالة الثامنة عشرة في نصوصه : كيديم وتونيب؛ فقد وصل تحوتمس الأول الى منطقة نهارينا، وخلال عودته إلى مصر اصطاد فيلة في مستنقعات نعيا (أفاميا). وبغياب المعلومات خلال مملكتي تحوتمس الثاني وحتشبسوت، تُذكر سورية الوسطى ومدنها من جديد في حوليات الفرعون الكبير تحوتمس الثالث خلال فترة حكمه، وبخاصة في قائمة الكرنك الكبيرة، ونجد فيها

قادش، تونيب، إيلا، نيا، أوغاريت وقطنا. ويذكر أمنحوتب الثاني، ابن وخليفة تحوتمس الثالث، في نصوصه قطنا، نيا، أوغاريت، تل منس (؟) وقاديش، وأخيراً، ذُكر اسما تونيب وقادش في وثائق تحوتمس الرابع خلال فترة حكمه، وهو آخر المنحدرين من سلالة تحوتمس.

النماذج المعمارية (الماكيت) للسلمية وحمص وحماة: قوانين أم استثناءات؟

بياترس مولر ـ مارغرون
(المركز الوطني للبحوث العلمية، فرنسا

لا أحد يجهل النموذج المعماري (الماكيت) المكتشف في السلمية، وهو الأول المكتشف في سورية، الذي أسال كميات كبيرة من الحبر، وهو محفوظ في متحف حلب؛ وليس للنموذج المعماري المكتشف في حماة والمحفوظ في المتحف نفسه الشهرة نفسها؛ أما فيما يتعلق بالنموذج المعماري من حمص، فهو محفوظ في هذا المتحف منذ عشر سنوات.

إن المادة التي ستقدم في هذه المحاضرةليست جديدة: فالهدف من هذه المحاضرة هو أخذ هذه النماذج المعمارية بعين الاعتبار على ضوء المكتشفات الأحدث في سورية وفي مناطق اخرى، وتحديد الوضع حسب الإشكالية المحيطة بهذا الموضوع.

١. تعريف:

أ ـ الإطار الجغرافي والتاريخي:

لم يستعمل مؤرخو عصر البرونز عبارة «سورية الوسطى» أبداً، ففي العصور القديمة، ميّزوا مملكة إبلا ابتداء من منتصف الألف الثالثة ق.م، ومملكة يمحاض Iamhad في بداية الالف الثانية ق.م، أما قبل ذلك ببضعة قرون فقد كانت أجزاء منهما وكذلك أمورو Amurru جزءاً من إمبراطورية سرجون آكاد. وخلال البرونز الحديث، أصبحت هذه المناطق تابعة للإمبراطورية ميتاني Mitanni في بداية القرن الخامس عشر ق.م، ثم للإمبراطورية المصرية، وأخيراً للإمبراطورية الحثية Hittite في القرن الرابع عشر. وإذا كانت هناك وحدة جغرافية أكيدة، فمن المؤكد بان هذه المناطق شكلت قالباً ثقافياً تاثر ببلاد مابين النهرين والاناضول والبحر المتوسط.

ب ـ النماذج المعمارية (الماكيت) :

عُرفت فكرة صناعة «منازل» مصغرة من الطين المشوي منذ العصر النيوليتي في كل الشرق الأدنى، وخلال البرونز الحديث توضحت ظاهرة صنع نماذج معمارية في سورية في المنطقة الواقعة بين عند نقطة انعطاف الفرات عندما نشطت التنقيبات الأثرية في السبعينيات قبل مشروع بحيرة الأسد.

يبدو ان المنتجات في هذه المنطقة كانت خاصة بأثاث او ادوات مطبخية في الإطار المنزلي. وقد تكون لهذه المواد وظائف مختلفة، واضحة أحياناً وصعبة التحديد أحياناً أخرى: اواني، دعائم، طاولات ذوات درجات، آنية مفتوحة على جنب... وأحجامها مختلفة، وتتراوح بين بضعة سنتميترات إلى أكثر من متر ارتفاعاً.

اما النموذج المعماري فهو يظهر الشكل العام دون التفاصيل، وإذا كانت هذه المنشآت الصغيرة تشبه الأبنية الحقيقية المصغرة، فلا يبدو انها كانت «نماذج تصاميم» حقيقية بالمعنى الحالي للكلمة، اي انها لم تكن مشاريع ثلاثية الأبعاد بمقياس مصغر يقصد منها أن تنفذ فيما بعد بالمقياس الحقيقي، وسواء أكانت نموذجاً لمبنى موجود أو كان موجوداً، فهل كانت تمثل ما يسميه والتر انداري Haus-Sinnbild، اي مفهوم بيت.

٢. نموذج السلمية:

بين العرض الأول للكونت دومستيل دو بويسون عام ١٩٣٨ والدراسة الجدية الأولى التي قام بها وحيد خياطة عام ١٩٧٤ / ١٩٧٥، لم تتم دراسات حول النموذج لكنه ذُكر مراراً. وقبل السبعينيات، كان المرجع الموجود الوحيد هو الخاص بالمذابح ذات الدرجات لمعبد عشتار القديم في أشور، والذي طوره وحيد خياطة بجمع دقيق لتفسيرات خاصة بها. ومنذ ذلك الحين غيرت تنقيبات إنقاذ آثار الفرات وبعض الاكتشافات الأخرى النظرة تماماً. وبعد تحليل مميزات النموذج (كالحجم ومستوى الفتحات والزخارف)، سوف نتطرق الى مشكلة دقة المقارنة المعمارية: الواقعية، الأجزاء المهملة، الخيال،... والنقاش حول التفسير المعماري لم ينته بعد: هل كان هذا التصميم يمثل معبداً أم بيتاً؟

إذا كان الجهل بمضمونها الاثري لا يسمح بتكوين فكرة عن وظيفتها، فإن النماذج المماثلة من منطقة بحيرة الأسد التي وُجدت في مكانها داخل منازل، توحي ببعض الوظائف المحتملة. واستناداً الى مذابح آشور ذات الدرجات، يبدو هذا التصميم حاوياً على دلائل

لتاريخ قديم (مرحلة اكاد)، لكن المضمون الأثري لمنطقة البحيرة وتحاليل الإضاءة الحرارية لبعض النماذج من مناطق غير معروفة، تؤيد انتماءها الى مرحلة البرونز الحديث.

٣. نموذج حمص:

لم يدرس نموذج حمص بعكس نموذج السلمية إلاّ في مقال واحد (موصلي، ١٩٨٨) الذي وصفه بدقة والذي وصل إلى نتائج صحيحة حول مصدره وتأريخه حتى بدون القيام بمقارنات مع نماذج الفرات الأوسط السوري.

بالمقارنة مع « المنازل ذات الغرفة المرتفعة » لم توُجد الأبراج المتميزة من حيث شكلها، المتوجة بسقاطات ورؤوس متطاولة، إلاّ في سويات البرونز الحديث بالفرات الأوسط. مع ذلك، فإن أحجامها ومميزاتها المعمارية وزخرفة هذه القطعة التي فقدت جزءها الأعلى، تسمح باقتراح شكلها مقارنة مع هذه المجموعة، وبالتالي اقتراح تفسير وظيفي جديد. ومن الميزات المعمارية لهذه المجموعة المتجانسة، الواقعية والأجزاء المهملة والخيال... إذن يبقى تفسيرها مجرد تخمينات : معبد، مستودع، حصن وبرج، مصغر لمدينة محصنة؟ وليست هناك إمكانية للمقارنة مع البقايا المعمارية التي ظهرت في التنقيبات.

يُعتبر هذا النموذج الوحيد لبرج يحمل هذا القدر من الرسوم، إذ وُجد عليه مزيج من الأشكال الحيوانية والنباتية والإنسانية، ونجد بعض هذه العناصر متفرقة على تصاميم أخرى أو على الفخار.

٤. نموذج حماة:

هناك مصدران حوله (انغولت، ١٩٤٠ وبدر، ١٩٨٠)، ووضعه الاستراتيغرافي غير مؤكد، ويمثل هذا التصميم الصغير (٨,٥ سم ارتفاعاً) في الحقيقة تمثالاً، وليس للكوة سوى دور إظهار. الحالة المعمارية في هذه الحالة ثانوية، حتى لا نقول غير موجودة. إن تعريف هذا التمثال كإلهة غير مؤكد، ومع ذلك، ينتمي هذا النموذج إلى مجموعة صغيرة من ادوات بلاد مابين النهرين التي تعود إلى الألف الثانية ق.م، ولقد سميناها « وبيوت قربان ذات تمثال مدمج »، وربما كانت نوعاً من التعويذات. والأسلوب هنا غير كاف لنسب نموذج حماة إلى مرحلة قديمة كهذه، فالإطار الأثري يرجع تأريخاً متأخراً : البرونز الحديث وليس قبل ذلك، أو عصر الحديد. فهل كانت « بيوت قربان » وهل كانت هذه البيوت الصغيرة تمثل نقلاً فردياً عن نمط آخر من « بيوت قربان » كانت بالفعل معروفة في (ممباقة، اوغاريت)؟

وعلى كل حال، وُجدت عادة «بيوت قربان ذات تمثال مدمج» فيما بعد في قبرص في القرن السادس ق.م، ودامت إلى المراحل الهلينيستية والرومانية.

الخلاصة:

إن النماذج المعمارية التي عثر عليها في سورية الوسطى نادرة: ولذلك فهي استثناءات، خاصة وأن مصدر اثنين منها غير مؤكد. ويتمثل الاستثناء في اماكن تواجدها وليس في مميزاتها التي تربطها مع مجموعات معروفة جيداً من الفرات الأوسط السوري خلال مرحلة البرونز الحديث، وبلاد مابين النهرين، فالبحر المتوسط الشرقي.

أواني ذات زخارف
تعود لعصر البرونز الوسيط

فرانسيس بينوك
(جامعة روما، إيطاليا)

تبرز، من بين المنتجات الفخارية التي تعود إلى عصر البرونز الوسيط (I-II) في إيبلا المتميزة بحجم انتاج كبير ونوعية متميزة معروفة، فئة خاصة من الأواني، طبّقت عليها زخرفة خاصة لأشكال صغيرة لايوجد مايماثلها خارج إيبلا من طيور ونساء عاريات وحيوانات متنوعة، باستثناء عينات قليلة جداً مشابهة وجدت في حماة. هذا ويمكن تقسيم هذه المنتجات إلى مجموعتين رئيستين، الاولى تعود إلى نهاية عصر البرونز الوسيط I ، وقد وجدت في مكان تقديم القرابين الذي نقب عنه في مربع الخزان الموجود بين معبد عشتار في المدينة السفلى شمال إيبلا والمنطقة P2 والنصب P3، والأخرى وجدت في كامل البلاط الإمبراطوري من عصر البرونز الوسيط II، كما وجد العديد من البقايا الزخرفية في أماكن أخرى من الموقع. وتعتبر المجموعة الاولى من هذه الأواني الفخارية المزخرفة هامة جداً في محاولة فهم الغرض أو الهدف الذي أنتجت لأجله، إذ يبدو أنها مرتبطة بطقوس عبادة عشتار يدل على ذلك الموقع الذي وجدت فيه في مكان الإلهة المقدسة، وطريقة تشكيل الزخارف، كأشكال النساء العاريات والحيوانات رباعية الأرجل التي تشير، دون شك، إلى مظاهر الخِصب والتكاثر، الأمر الذي يرتبط بالتأكيد بعشتار إلهة الخِصب، وكذلك الأمر بالنسبة لرؤوس الطيور التي تتكرر كثيراً والتي تتميز بعلاقة خاصة بالإلهة، حيث كانت هذه الإلهة الأكثر أهميّة في هيكل آلهة إيبلا في الفترة السورية القديمة.

مسلة (نصب) لوفية جديدة في تل برسيب ماسواري وعبادة إله العاصفة في غرب سورية

غي بونتز
(جامعة ملبورن، استراليا)

لقد دفع الإكتشاف الذي تم في تموز (يوليو) ١٩٩٩، قرب تل أحمر (تل برسيب / ماسواري)، لمسلة تمثل إله العواصف، بالإضافة للإكتشاف الذي تم منذ أعوام لمسلة أخرى تمثل الموضوع نفسه في القدموس قرب طرطوس، دفع للبحث عن مسالة عبادة هذا الإله في منطقة غرب سورية، وتحمل مسلة تل أحمر هي الأخرى نقشاً بالهيروغليفية اللوفية، وهي نوع من الكتابة استخدمت من وادي الفرات حتى الغرب في حماة، ومن المؤكد ان الإله المنقوش على مسلة تل أحمر هو إله العواصف الحلبي نفسه كما تدل عليه كتابة لوفية أخرى من تل أحمر.

ستتحدث المحاضرة عن موضوع العلاقات الدينية والثقافية بين حلب ووادي الفرات والعاصي في ضوء اكتشاف المسلة الأخير في تل أحمر.

أدوات تعود لعصر البرونز الرابع B من تل قرقور في وادي العاصي

رودولف هـ. دورنمان
(المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية، الولايات المتحدة الأمريكية)

رغم أن معظم جهود التنقيبات في تل قرقور قد ركزت على فهم الاستيطان في عصر الحديد، إلا أنها قد أظهرت أيضاً، وبشكل واضح، تاريخ التل الطويل. وقد زودتنا المواسم الثلاثة الأخيرة بصورة واضحة عن تسلسل الاستيطان في نهاية عصر البرونز، ولاسيما في المنطقتين A و E اللتين أظهرتا بقايا معمارية مع مجموعة مهمة من الأدوات. ومايزال الوقت مبكراً للتعرف على طبيعة هذه البقايا المعمارية طالما أنها مازالت مدفونة في أغلبها، وقد كشفت في المنطقة E دلائل على أعمال تعدين في المستويات الخمسة المنقبة، كما ظهرت سلسلة من المصاطب المعاد بناؤها عدة مرات من الآجر، وهي تبدو كمصاطب لمعبد أكثر منها كمنطقة عمل. أما في المنطقة A فقد كشفت غرفة مطبخ ضمن منشأة كبيرة فيها فرن ومجموعة من أواني الطهي وغيرها وكذلك حبوب متفحمة من نبات علفي مر (vetch)، وقد ساعدت مجموعة متفحمة من البقايا النباتية والحيوانية وغيرها على تصور بيئة وادي العاصي في تلك الفترة، كما أظهرت مجموعة الخزف تشابهاً مع مراحل حماة وتل مرديخ ومواقع من وادي الفرات، وهي تغطي كامل فترة عصر البرونز المبكر. لقد تم الحصول على توثيق لهذه المجموعة من محتويات الحفر وعمارة مستويات البرونز المبكر الرابع (A و B).

الوجود الكيشي في الزخارف النحتية
في المقبرة الخاصة بحرق الموتى في حماة
(حوالي القرنين ١٣ـ١٠ ق.م)

مادلين تروكي
(جامعة لييج، بلجيكا)

اكتشف ب.ج. ريبس (Copenhague,Hama, II.3,1948) ستة من الأختام الاسطوانية مرتبطة بالفن الكيشي (Babylonie, env. 15e-12e s.) من بين الأختام الاسطوانية المكتشفة في مقابر رماد الموتى في حماة. ويظهر على احدها شكل إنساني متطاول وبعض الأشكال الزخرفية الثانوية بجانب كتابة طويلة (op. cit.,p. 151, fig.188)، والخمسة الاخرى اختام سورية بملامح كيشية، يمثل أحدها طراز التشكيل من الوثيقة الأولى (الشكل ١٨٨)، وقد تم تقليد الاعمال الكيشية (op.cit., p. 154, fig.193)، أما الأخرى المزينة بالمواضيع الطبيعية المحورة، فيظهر عليها إطار على شكل مثلثات منحوتة تقلد الأشكال الذهبية على بعض الأختام الكيشية.

تعود الملاحظات السابقة إلى عام ١٩٤٨ عندما كانت دراسة الأشكال المختلفة للزخارف النحتية الكيشية في بدايتها. ومنذ ذلك الوقت، وبسبب تقاطعها تطورت المعلومات وأصبحت الملاحظات السابقة بحاجة للاستكمال والتعديل. وهكذا فإنه يمكن نسبة الختم (الشكل ١٨٨) إلى الطراز الكيشي الاول الذي يليه البابلي الأول (D. Collon, First Impressions, Londres, 1987, p. 58, fig.237)، كما يمكن تصنيف الأختام المؤطرة بالمثلثات (الشكل ١٩٥ a-d) ضمن الطراز الكيشي الثاني

D .Matthews, Principles of Composition in the Near Eastern Glyptic of the Later Second Millennium B.C., Fribourg, Gottingen, ، 1990, p .63, fig. 167, et G. Stiehler-Alegria Delgado, Die Kassitische Glyptik, Munich, Vienne, 1996, p. 134, fig. 295b et p. 137, fig. 302.

يبدو إذاً أن حوالي ربع الأختام من المقبرة الخاصة بحرق الموتى في حماة تعود للفن الكيشي، وتنبع أهمية هذا الوجود الغريب في الوسط السوري من حقيقة انتمائها لحقبة تبادل فني دولي من تاريخ الشرق الأدنى (١٥٠٠-١٠٠٠ ق.م) .(D. Collon op.cit., p.73-58)

حول دراسة طراز التماثيل الإنسانية في سورية خلال عصر البرونز

أرليت روبايرت ـ بونتز
(جامعة ملبورن، استراليا)

سمحت بحوث ليلى بدر حول التماثيل الإنسانية من الطين المشوي في سورية خلال عصر البرونز، بإيجاد نمطين مختلفين بدا لها أنهما يميزان منطقتين جغرافيتين متفرقتين، أي نهري العاصي والفرات.

ومنذ عام ١٩٨٠، دعت الاكتشافات الجديدة إلى مراجعة هذا التميز الجغرافي إذ يتضح بأن الأنماط المعروفة بأنماط الفرات والعاصي لا علاقة لها مع الحيز الجغرافي، بل تمثل طرازين مختلفين يتعاقبان زمنياً.

التعدين في حوض العاصي الأوسط خلال الألفين الثالثة والثانية ق.م.

خوان لويس مونتيرو فيتولوس
(معهد الشرق الأدنى القديم، اسبانيا)

لم يكن نشاط التعدين في حوض العاصي الأوسط (منطقتي حماة وحمص) محوراً لدراسة شاملة أبداً، ومع ذلك، عرفت هذه المنطقة إنتاجاً معدنياً نشيطاً جداً في العصور القديمة، كما تشير الى ذلك البقايا الأثرية والنصوص المسمارية. وخلال تنقيب أهم مواقع هذه المنطقة (حماة، مشرفة، قلعة المضيق، . . .) تم اكتشاف مواد عديدة من النحاس والبرونز (أسلحة، أدوات وحلي) تعود الى الألفين الثالثة والثانية ق.م، ومن جهة أخرى، تكشف رقم ماري عن إرسال كميات مختلفة من مواد قصديرية الى ملك قطنا خلال مرحلة زيمري - ليم (القرن الثاني عشر ق.م).

وهذه المحاضرة عبارة عن دراسة للأدلة الأثرية والنصوص حول تعدين النحاس في منطقتي حماة وحمص خلال عصري البرونز القديم والوسيط.

الأعمال الأثرية الوطنية في تل الورديات
منطقة مصياف ـ محافظة حماة

هيثم حسن
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

بدأت البعثة الأثرية الوطنية من المديرية العامة للآثار والمتاحف أعمالها الأثرية في تل الورديات الواقع على بعد ٨كم إلى الشرق من مدينة مصياف، في مطلع شهر تموز عام ١٩٩٥. وقد كان الهدف الرئيس للبعثة إيقاف الأعمال التخريبية التي كان يتعرض لها التل، ثم القيام بأسبار تظهر أهميته الأثرية. يقع التل على ارتفاع ٣٠٠م عن سطح البحر، كما تبلغ مساحة المنطقة الأثرية ٢,٥ هكتار (٢٢٠X١٢٠م)، تشمل التل الأثري الذي يأخذ شكلاً دائرياً قطره ١٢٠ متراً وارتفاعه عشرة أمتار عن سطح السهل المجاور في الجهة الشرقية حيث مازال آثار بيوت قرية قديمة واضحة على السطح، ويمر بمحاذاته غرباً نهر يسمى ساروت أبو بعرة، كان سبباً رئيساً في نشوئه، ويتجه شمالاً ليصب في نهر العاصي. لقد أدت الأعمال الأثرية للبعثة على مدى المواسم الثلاثة السابقة حتى الآن إلى الكشف عن مجموعة من السويات الأثرية في سبر القطاع «B» أهمها سوية عـ عصر البرونز الوسيط الثاني IIMB (١٨٠٠–١٧٠٠ق.م)، وفيها كسر فخارية تمثل فوهات جرار تميل نحو الخارج عثر على مايشابهها في إيبلا سابقاً، وسوية عصر الحديد الثاني، القرن الثامن ق.م، فيها كسر فخارية من النوع القبرصي ذي التزيينات الهندسية باللونين الأسود والبيج (بيكروم)، تشير إلى علاقات مع الساحل السوري وبلاد قبرص واليونان، والسوية الهيلينستية من القرن الأول ق.م ظهرت مع جدار من الحجارة الصغيرة وكسر من نوع الملمع الأحمر الشرقي ذي الانتشار الواسع في شمال سورية. وظهرت السوية الرومانية بشكل كثيف من خلال مجموعة من المدافن الأرضية وكتابة يونانية ونصب جنائزي وقطع نقدية من القرن الثالث الميلادي، ثم السوية البيزنطية من القرن الرابع وحتى السابع بعد الميلاد والتي ظهر فيها معاصر زيتون ومبنى دير مسيحي ومساكن فقيرة تتشابه مع ما عثر عليه في أفاميا ومجموعة من الأسرجة

الفخارية والقطع النقدية للعديد من الأباطرة. ثم السوية الإسلامية من الفترة الأيوبية ـ المملوكية تترافق مع بعض الجدران السطحية والنقود والأسرجة والكسر الفخارية.

لقد سلطت هذه الأسبار الضوء على أهمية هذه المنطقة التي لعبت دوراً كبيراً بسبب موقعها الحساس في مقدمة هضبة مصياف الجغرافية وسهل الغاب كحد بين التأثيرات الساحلية في الجنوب والغرب، أوغاريت وأرواد وسميرا (تل الكزل)، وتلك الواقعة إلى شمال نهر العاصي، أعالي نهر الفرات وتل أفس في الفترات التي يمثلها التل.

تل مشرفة/قطنا
نظرة على التنقيبات السابقة والأعمال المستقبلية

عمار عبد الرحمن، دانييل موراندي بوناكوسي، مارتا لوتشياني، ميركو نوفاك، بيتر بفالزنر .
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية، جامعة أودينيزه، ايطاليا - جامعة توبنجن، المانيا)

في عام ١٩٩٩، وقعت كل من المديرية العامة للآثار والمتاحف وجامعة أودينيزه في إيطاليا وجامعة توبينغن في ألمانيا اتفاقية تعاون لتشكيل بعثة تنقيب مشتركة في موقع تل مشرفة في محافظة حمص، وهو الموقع الذي عرف على أنه موقع قطنا السوري القديم المهم. وسيقوم المدراء الثلاثة للبعثة الجديدة بعرض افكارهم حول التنقيبات المستقبلية التي سترتكز على إعادة تقويم نتائج التنقيبات التي قام بها الكونت دو مسنيل دو بويسون (du Mesnil du Buisson) في أواخر العشرينات من هذا القرن.

لقد أنجز دو مسنيل ثلاثة مواسم تنقيب بين عامي ١٩٢٧-١٩٣١، ونقب في سبعة مناطق واسعة غطت أجزاء مختلفة من الموقع الواسع. لقد توزعت المناطق على الشكل التالي: عند الأسوار في الجهة الجنوبية للمدينة، وحول البوابة الجنوبية، وفي موقع المدينة السفلى الجنوبية، وعند المنطقة المسماة «قبة لوط»، وفي المرتفع المركزي المسمى «مرتفع الكنيسة»، وعند القبر الرابع جنوب المرتفع المركزي، وفي منطقة المدينة الشمالية الواقعة شمال غربي «مرتفع الكنيسة». لقد تم العثور على أكبر المنشآت في «مرتفع الكنيسة» حيث ظهر مبنى واسع طوله من الشرق إلى الغرب أكثر من (١٠٠م)، ومن الشمال إلى الجنوب (٩٠م)، وقد عرفه دو مسنيل على أنه بنية معمارية مركبة لقصر ومعبد لنين إيغال ومكان رفيع المستوى، كما توقع أن هذه المنشآت الثلاث قد عاشت لفترة زمنية طويلة، فبرأيه أنه قد تم إنشاؤها للمرة الأولى في نهاية الألف الثالثة أو بداية الألف الثانية، ثم تم تجديدها في القرن السادس عشر، وتم تدميرها أخيراً في القرن الرابع عشر على يد الحثيين.

يعتقد المنقبون الحاليون أن نتائج دو مسنيل المعمارية والوظيفية والتاريخية الخاصة بالمبنى لا تقوم على أساسات متينة، فالمسقط المعماري غير واضح أو مفهوم، إذ لم يتم

اكتشاف سوى جدران تتاخمها أرضيات صلبة، أما الجدران المبنية من الآجر فلم تلحظ أو تمت الإشارة إليها بغموض، ولذلك فقد أصبح من المستحيل فهم المخطط، وللسبب نفسه فإنه من المستحيل إثبات التقسيمات الوظيفية التي تحدث عنها دو مسنيل، كما أن أقدم تاريخ لإنشاء المبنى غير واضح لأن أهم اللقى يعود لعصر البرونز المتأخر.

تعتبر عملية إعادة تحليل هذه المنشأة أحد أهم أهداف التنقيبات الحديثة المزمع العمل بها، أما المناطق المقترح العمل فيها فهي « التلة المركزية » الواقعة جنوبي « مرتفع الكنيسة » والمنطقة المسماة « الأكربول الأدنى » شمال غربي « مرتفع الكنيسة »، وفي حين سيبدأ الفريق الألماني العمل في تشرين الأول (أكتوبر)، فإن الفريقين السوري والإيطالي قد بدأا العمل في آب (أغسطس)، وسيتم تقديم النتائج الأولية للموسم الحالي في هذه المحاضرة.

حماة في عصر البرونز الوسيط

إنغولف تويسين
(جامعة كوبنهاغن، الدانمارك)

أظهرت الحفريات الدانماركية في قلعة تل حماة في الفترة الواقعة بين ١٩٣١ـ١٩٣٨ بقايا أثرية هامّة يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة بين ٢٤٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م : حماة الطبقات J ـH في فترة التحول EB/MB، مرحلة الإنتقال بين البرونز القديم والبرونز الوسيط، أو مرحلة حماة J (٢٤٠٠ـ٢٠٠٠ ق . م، تاريخ معدل)، حيث أظهرت هذه البقايا وجود مخطط مدينة مكتظة نسبياً، وكتل تعود لمنازل منتشرةعلى جانبي أزقة وشوارع. ويبدو أن هذا الوضع قد استمر خلال كافة الأطوار الثانوية الثمانية التي انقطعت بسبب حدوث كارثة أدت إلى دمار شامل، يدلنا على ذلك وجود طبقة كبيرة من الرماد بين (J4، J5) والتي تتزامن بشكل نظامي مع دمار تل مرديخ IIB1 (إبلا القديمة) الذي ألحقه بها ملك الأكاديين . ويبدو تبدل نموذج حماة H، المكون من خمس مراحل ثانوية، واضحاً بدراسة المقطع الكبير المأخوذ للمنطقة والذي يعود إلى عام ١٦٠٠ ق.م (تاريخ معدل)، حيث يظهر وجود حوالي ٣١ مبنى لحفظ الأعلاف تعود لتلك الفترة بقطر يصل إلى مترين وعلى طول يتراوح بين ٤ ـ ٦ أمتار محفورة في الهضبة، ويحتوي العديد منها على أواني فخارية وقوائم ومحارق للبخور وتماثيل صغيرة من الطين المشوي (terra cotta)، الأمر الذي يضع إشارة استفهام حول دور هذه المباني كأماكن للتخزين. ويدل التحليل الدقيق لذلك، بالإعتماد على موجودات المباني المسوحة المعاصرة لها ، على أن بقايا الأبنية هذه تعود إلى وحدة أكبر تعود للمرحلة الثانوية H3 مثلاً التي نقّبت بشكل جزئي فقط لسوء الحظ. وقد تم اكتشاف قسم مرسوم يشير إلى وجود طبقات حقيقية في حماة J و H ، كما يبين بأن المنطقة تميزت بدور خاص في عصر البرونز الذي لم يكن يحتوي على مناطق سكنية خاصة.

وتستعرض المحاضرة هذا المقطع وتناقش احتمال انقطاع وجود اللقى الأثرية التي تعود إلى حماة H ، وذلك على ضوء المكتشفات التي تعود إلى الفترة نفسها في إبلا.

حماة الكبيرة

بيير بوردروي
(كلية فرنسا)

مثلما هو الحال بالنسبة لبقية مدن الشرق الأدنى القديم خلال الألفين الثانية والأولى ق.م، سُميت مدينة حماة برباح rabbah اي «الكبيرة»، وقد أُطلق هذا اللقب على عواصم ومدن أخرى ويسمح ذلك بالنقاش حول دور مدينة حماة في مملكة حماة الآرامية، إذ لا يمكننا تجاهل فكرة أن المدينة القديمة التي اكتشفتها البعثة الدانمركية تحت تل مدينة حماة الحالية، كانت تحمل اسم حماة وتشكل بالتالي العاصمة الرمز لهذه المملكة.

إن الترجمة الحرفية لكلمة رباح على أنها «الكبيرة» صحيحة، لكن يجب أن نتذكر بأن عبارة ربت rbt كانت أيضاً اللقب الذي كان يطلقه أدب رسائل أوغاريت على ملكاته خلال القرن الثالث عشر ق.م، كما أنه خلال الألف الأولى ق.م كانت نقوش ملوك جبيل تكرم إلهتهم المؤنثة بعلت جبيل Baalat Gubal بلقب ربت RBT. فإذا كانت «بعلت جبيل» تُترجم بـ«مولاة جبيل»، فإن عبارة بعلت جبيل تعني «سيدة جبيل».

وإذا كانت المدن تُعتبر كتشخيص انثوي، فالاغلب بان لقب «الام Mère» الذي نجده في اسم العاصمة الإغريقية «Métropole» قد أُطلق كذلك عليها، وإذا تذكرنا فكرة احترام الأمومة، فلا بد أن نلاحظ العلاقة بينها وبين دور المستعمرة الذي نُسب لهذه المدينة، وبالمثل سُميت ضواحي المدينة الهامة حرفياً بـ«بناتها Fille»، وقد نقول اليوم فروعها «Filiales».

ونقترح اعتبار الفكرة القديمة للمدينة كـ«سيدة» كاحد العناصر المكونة لفكرة تيكه Tyché الشرقية (إلهة الحظ) التي كانت تمثل، في المرحلة الكلاسيكية، مدينة متميزة مثل تدمر بصورة إمرأة على رأسها تاج دائري. وقد يكون رأس تيكه المكتشف منذ أعوام والذي يمثل مدينة عمان المثال المناسب في هذا الصدد الذي توضحه في الوقت نفسه أعمال التصوير وإسم ربت ـ عمون Rabbat-Ammon الذي أطلق على المملكة العمونية ammonite.

أخيراً، نشير إلى أن فكرة تمثيل المدينة في الشرق الأدنى بشخصية أنثوية استمرت في أعمال التصوير المسيحية في القرون الأولى، إذ تمثل إحدى لوحات فسيفساء مادبة Madaba ثلاث مدن هامة، من بينها مادبة، كنساء يحملن في أيديهن عصا عليها صليب، وعلى رؤوسها التاج المميز لتيكه.

حماة بين الحثيين الجدد (اللوفيين) والآراميين

جباغ قابلو
(جامعة دمشق، سورية)

شهدت فترة النصف الثاني من الألف الثانية ق.م ازدياد النفوذ الحثي في مناطق شمال ووسط سورية على حساب تراجع النفوذين الحوري الميتاني والمصري عنها، ودارت معظم الإمارات السورية التي وجدت في هذه المنطقة في فلك هذا النفوذ الذي قيدها بمعاهدات تبعية، جعلت من الملك الحثي سيداً أعلى لهذه الإمارات مقابل حفاظ الأسر الحاكمة المحلية على سلطتها على أتباعها. لقد استمر هذا الوضع حتى انهيار الإمبراطورية الحثية قرب نهاية القرن الثاني عشر ق.م على يد ما يسمى بغزوة شعوب البحر، وكما هو معلوم فإنه قامت على أنقاض هذه الإمبراطورية مجموعة من الإمارات التي أُطلق عليها اسم الإمارات الحثية الجديدة أو الدويلات الحثية الجديدة، وربما ازداد عدد العناصر الحثية في مناطق شمال ووسط سورية مع انهيار الإمبراطورية الحثية نتيجة دفع مجموعة شعوب قبائل البحر لأعداد كبيرة من العناصر الحثية أمامها أثناء تقدمها في المنطقة السورية. وبالمقابل شهد النصف الثاني من الألف الثانية ق.م انتشار القبائل الآرامية في مناطق واسعة من بلاد الرافدين وسورية، وحوّلت هذه القبائل، قرب نهاية الألف الثانية ق.م، نظام حياتها القائم على الترحال والانتقال والعمل كمرتزقة لدى حاكم الدول المختلفة القائمة في المنطقة السورية الرافدية إلى حياة الإستقرار وتأسيس دويلات عديدة في المنطقة آنفة الذكر. وفي هذه الفترة حصل الالتقاء بين العناصر الآرامية والعناصر الحثية الجديدة أو اللوفية، وكانت حماة واحدة من المناطق التي حدث فيها مثل هذا اللقاء. وفي بحثنا هذا سنحاول أن نبين مدى أهمية الدور الذي لعبه كل من العنصرين الآرامي واللوفي في تاريخ هذه المدينة خلال فترة القرنين التاسع والثامن ق.م، وذلك من خلال تحليل المصادر المتوفرة بين أيدينا سواءً أكانت هذه المصادر أثرية أم كتابية وخاصة أسماء الأعلام الواردة في الكتابات الآرامية واللوفية والآشورية، رغم أن بعض هذه الكتابات مجتزأة أو مهشمة إلى حد كبير.

حماة ولعش
حالة من التكامل السياسي والثقافي

ستيفانيا ماتسوني
(جامعة بيزا، ايطاليا)

تميزت المنطقة الواقعة بين حماة وآفس منذ الألف الرابعة قبل الميلاد بتكامل حضاري قوي حيث تتميز العصور الأثرية المتتالية لحماة وإبلا وآفس ـ في العصر النحاسي المتأخر والعصور البرونزية المتوسطة والمتأخرة ـ بالسمات والمظاهر نفسها، وتوثق انتشار مجموعة متنوعة من المصنوعات والفخار في المنطقة، كما تُظهر في بعض الحالات وجود ورش محليةفردية في منتصف الألف الثالثة ق.م. وتعطي سجلات إبلا وأرشيفها دلالة واضحةعلى وجود منظومة مركزية تضم المواقع الرئيسة والمواقع الصغيرة ضمن شبكة عمل إقليمية، وقداكدت اعمال المسح الإقليمية على وجود هذا التصنيف لفترة طويلة من الزمن،ورسمت بدقة الخطوط الكبرى لمنطقةالعاصي التي تشترك بمجموعة من السمات والخواص المتنوعة. ويعطي حجم الاستيطان وتوزعه واللقى السطحية في هذه المنطقة دليلاًعلى وجود تجمع ثقافي وسياسي فيها،كما يمكن ملاحظة وجود تبدلات محدودة بين المواقع والقطاعات الصغيرة حدثت مع مرور الزمن، الأمر الذي يمكن ان يكون سبباً آخر للاستمرار والاستقرار لفترة زمنية طويلة. ويبدو بانه لم يطرأ في الألف الأولى قبل الميلاد أي تغيرمفاجئ واضح، وقد بقي انتشار الاستيطان وحجمه وادواته واضحاً، وكانت المنطقة في تلك الفترة تحت سيطرة مملكة حماة التي توسعت حوالي عام ٨٠٠ ق.م بعد مطالبات حاكمها زكور Zakkur بالمناطق الواقعة إلى الشمال بمافي ذلك منطقة لعش / لهوتي والمنطقة الأقدم نوخاس Nukhase. ويبدو أن هذا التكامل الثقافي والسياسي قد استمر لفترة قصيرة،حيث عادت الأهمية التجارية لها. وتسمح التنقيبات الحالية في آفس بإلقاء الضوء على هذه الفترة وإعادة تقييم نتائج ودلائل التنقيبات القديمة لحماة وتقدير تاريخ نسبي لعصر الحديد وإمكانية التركيز مرة أخرى على إسهام الآراميين في الفرز السياسي والثقافي للمنطقة.

العلاقات الحضارية بين الفينيقيين والآراميين خلال القرن الأول من الألف الأولى ق.م.

فولفغانغ روليغ
(جامعة توبنغن، ألمانيا)

لقد كان للاتصال الثقافي والاقتصادي بين الفينيقيين على ساحل المتوسط والآراميين في الداخل تاريخ طويل، بلاشك، وقد كان أحد نتائج هذه العلاقات انتقال الأبجدية الفينيقية إلى الآراميين. لكن هذه الحقيقة المعروفة ستتم مناقشتها بالتفصيل. وقد تم أيضاً انتقال بعض التقاليد الدينية والأدبية من مدن الساحل في مراحل مبكرة إلى الآراميين (الأميّين) الذين تبنوا وطوّروا هذه التقاليد بطرق مبتكرة. وسيتم تقديم بعض الأمثلة على هذا الانتقال بالارتكاز على بعض النصوص الآرامية المبكرة وبالمقارنة مع دلائل أخرى من المصنوعات كالنقش على العاج.... إلخ، كما ستبين هنا العلاقة القوية والعميقة بين التطور الثقافي للممالك الآرامية واتصالها وتبادلاتها مع الكنعانيين، قرب ساحل المتوسط.

مملكة حماة الآرامية

محمد وحيد خياطة
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

المصادر التي تتحدث عن الآراميين:

١ـ الكتابات المسمارية الآشورية

٢ـ الكتابات الآرامية ومعظمها ذات صبغة دينية وشخصية وإدارية محلية.

٣ـ الكتاب المقدس (العهد القديم) ومقارنته بالنصوص الآشورية، لتحديد العصر بدقة حيث أن التدوين التوراتي حدث في وقت متأخر من زمن الأحداث التي يروى عنها، والتي غالباً لم تتحقق إلا في عصور لاحقة.

أصل الآراميين:

يجمع معظم الباحثين ان منشأ الآراميين يجب ان يكون من الجزيرة العربية شأنهم في ذلك شأن بقية الهجرات السامية التي كان آخرها الفتح العربي لبلاد الشام والعراق تحت راية الإسلام.

تتحدث نصوص ماري في القرن الثامن عشر ق.م عن قبائل شبه بدوية تسميها (أحلامو)، وتذكرهم نصوص آشورية من القرن الرابع عشر ق.م، وتذكرهم نصوص آشورية أخرى في القرن الثاني عشر ق.م باسم (أحلامي ارامیا)، وغالباً ما كانت المعارك تحتدم بينهم وبين الآشوريين في جبل بشري وتدمر.

لقد استقر الآراميون غرب الرافدين في وادي الخابور في المنطقة المسماة (آرام نهاريم)، والواقعة بين الفرات والخابور حول حران، وقد استغلوا فترة ضعف الحكم الآشوري، ونجحوا في إيصال أحد قادتهم إلى عرش بابل. وهكذا أصبح الآراميون قوة مرهوبة الجانب يحسب حسابها في الموازنات الدولية.

عصر ممالك المدن الآرامية:

عندما انهار صرح الإمبراطورية الحثية حوالي ١٢٠٠ق.م حدثت تطورات عرقية وسياسية وحضارية أوجبت التغيير في أجزاء واسعة من البلاد، فعلى أنقاض الدولة المركزية القوية قامت دول مدن كثيرة بعضها آرامي، وبعضها الآخر حاول أن يحافظ على تراث الحضارة الحثية ويجدد شبابها، ولم يكن في مقدور اي دولة من هذه الدول او إمارة من هذه الإمارات التي قامت إلى جانب بعضها بعضاً أن تملك القوة الكافية للهيمنة وتاسيس دولة مركزية قوية تستطيع أن تخلف الإمبراطورية الحثية في إرثها السياسي والحضاري الضخم.

وقد عاش الآراميّون جنباً إلى جنب مع الحثيين الجدد، وكانت أشهر ممالكهم في الشمال: بيت عديني وعاصمتها تل برسيب (تل أحمر حالياً)، وتمتد شرقاً إلى نهر البليخ، ومملكة بحياني وعاصمتها غوزانا (تل حلف حالياً).

وقد وصل الآراميّون جنوباً إلى حماة منذ نهاية القرن الحادي عشر ق.م، والحفريات التي أجريت هناك كشفت عن حضارة آرامية تلي مباشرة الطبقة الحثية. أما بقية الممالك الآرامية فقد توزعت في جنوب العاصي والليطاني، وقد ورد ذكرها في العهد القديم، وكان ابرزها (ارام دمشق) التي قادت تحالفاً لمواجهة مملكة حماة المتحالفة مع الآشوريين.

التنقيبات الأثرية في قلعة حماة:

قامت بعثة دالماركية برئاسة الاستاذ (هـ. إنغولت) بحملة تنقيب اثرية في تل حماة استمرت من عام ١٩٣١ إلى عام ١٩٣٨، وقد كشفت التنقيبات عن اثنتي عشرة طبقة حضارية، اصطلح على تسميتها بالحروف الابجدية اللاتينية من (A) إلى (M)، وترقى بتاريخها بدءاً من العصر الحجري الحديث وانتهاء بالعصور الإسلامية. كما اظهرت الحفريات في التل تتابعاً حضارياً مطولاً استمر من الالف الرابعة إلى الالف الثانية ق.م، ومن المؤسف انه لم يعثر على كتابات تعود إلى هذه المرحلة الموغلة في القدم من تاريخ حماة.

وافضل طبقة ممثلة بشكل جيد في التل هي طبقة العصر الحديدي الموصوفة بالحرف (E)، بحيث عثر على ابنية ومنحوتات من نموذج الفن الآرامي والحثي المتاخر، أما المكتشفات الكتابية فلم تتجاوز عشرين رقيماً مدوناً بالخط المسماري، وإحدى عشرة كتابة أبجدية مدونة بالخط الآرامي، كما عثر على بعض الكسر التي تحوي كتابات هيروغليفية حثية. ويبدو أن الجيش الآشوري وضع حداً لحياة المدينة عام ٧٢٠ق.م، بدليل الكشف الأثري عن

تخريب المدينة في هذه الطبقة، ثم تركت المدينة خراباً يباباً حتى تأسست من جديد في العصر الهلنستي.

كانت حماة قد تأسست من جديد باسم جديد (إبيفانا) في ظل حكم (أنطيوخوس الرابع) حوالي عام (٢١٥-١٦٥ق.م)، وقد استخدم المؤرخ اليوناني اليهودي الأصل يوسفوس الاسم القديم في مؤلفه عن التاريخ اليهودي، وحافظ الاسم على وضعه في العصور الإسلامية ولم يزل كما هو عليه اليوم.

الآشوريون والآراميون في سورية الوسطى

جيسبر آيدم
(معهد كارستن نيبور، الدانمارك)

سيطرت مدينة حماة في عصر الحديد على جزء كبير من وسط سورية، وقد لعبت دوراً هاماً في مقاومة النفوذ الآشوري بقيادة تغلات بلاصر الأول للسيطرة على سورية الذي قام بغزو شهير لأمورو وبلاد مابين النهرين، وانتهى أخيراً بسقوط حماة على يد سارغون الثاني عام ٧٢٠ق.م أي بعد ٤٠٠ عام.

لقد توضح لنا تاريخ هذه الفترة الطويلة من خلال الأرشيف الملكي الآشوري الذي زودنا بمعلومات عن المملكة الآرامية في مرحلة ازدهارها من وجهة نظر الفاتحين الشرقيين، أما الكتابات السورية المحلية فقد كانت قليلة نسبياً ومتباعدة زمنياً لأن الطريقة الفعلية الرئيسة للتدوين كانت سريعة التلف، على النقيض من الرقم الطينية التقليدية في بلاد مابين النهرين، ولسوء الحظ فإن معظم القطع المتبقية من الرقم ذات الكتابة المسمارية العائدة لعصر الحديد في قلعة حماة تحمل لنا الشواهد على هذه الحقيقة بسبب وجودها الاستثنائي في هذا المحيط المحلي. وبالعودة إلى السجلات الأثرية المتميزة نلاحظ أن الفجوة بين الشرق والغرب قد تضاءلت في السنوات الأخيرة، وقد زودتنا المعلومات الجديدة من تل آفس جنوب حلب بوصف عن ثقافة سورية في عصر الحديد التي أظهرتها الأوابد الكلاسيكية من حماة القديمة بأفضل شكل ممكن، كما أظهرت التنقيبات في الخابور الأدنى في الشيخ حمد / دور كاتليمو، بقايا عاصمة إقليم آشوري في الجهة الشرقية للإمبراطورية. ويلاحظ أن التفاعل المعقد بين الآشوريين والآراميين كان أكثر قوة هنا منه في القسم العلوي من نهر الفرات والطرق التقليدية في بلاد مابين النهرين والأناضول والمناطق الواقعة تحت التأثير السوري، وقد ألقت التنقيبات الأخيرة والمسوحات في المنطقة والتي تمت بسبب إنشاء سد تشرين، الضوء على دلائل جديدة متعلقة بالتبادل الثقافي والتاريخي بين سورية وآشور في عصر الحديد. وسيستكشف هذا البحث الصلات الأولى بين الآراميين والآشوريين معتمداً على المعلومات الأثرية والكتابية.

سورية الوسطى في الرسائل الآشورية الحديثة

فريدريك ماريو فاليس
(جامعة أودين إيطاليا)

لقد تم توثيق التوسع الآشوري في سورية الوسطى في حوليات الملوك الآشورية بشكل موسع، وبشكل أقل في المصادر المعاصرة الأخرى. وتعطينا مجموعة من الرسائل الآشورية الحديثة من زمن صارغون الثاني (٧٢٢ـ٧٠٥) فكرة عن المشاكل التي واجهتها الامبراطورية الآشورية بالنسبة للمحيط الطبيعي ومجموعات السكان المحليين في منطقة سورية الوسطى ولاسيما الرسائل الخاصة بالمجموعات العربية القبلية وموقفها المتشدد من السيطرة الآشورية في منطقة حماة وما حولها، وهي تمثل حالة دراسة تاريخية مهمة.

أرادوس إبان امبراطورية الإسكندر الكبير
بدلالة النقود

فريديريك دورا
(جامعة السوربون، فرنسا)

تعطي المصادر الأدبية الإغريقية بعض المعلومات حول الطريقة التي انضمت بها فينيقيا الشمالية إلى إمبراطورية الإسكندر الكبير ابتداء من سنة ٣٣٣ ق.م. ونحن نعلم بأن الملك جيروستراتوس حكم جزيرة أرادوس (أرواد) وإقليمها القاري الكبير، وعند وصول المقدونيين إلى المنطقة كان الملك مع أسطول داريوس الثالث وبواخره، وكان ابنه ستراتون حاكماً لأرادوس، وبعد معركة ايسوس، احتل جيش الإسكندر الساحل باتجاه الجنوب، فاستقبل ستراتون الغازي المقدوني وافسح له الطريق نحو بقية مدن فينيقيا، وبعد فترة قصيرة تخلى جيروستراتوس عن الأسطول الفارسي والتحق بداريوس الثالث في الوقت نفسه مع بقية ملوك فينيقيا، فواصل الإسكندر طريقه باتجاه الجنوب. ومنذ ذلك الحين، لا تعطينا المصادر أية معلومات حول مصير أرادوس ومنطقتها القارية، لذلك فقد تم تقديم آراء عديدة حول مصير نظام أرادوس الملكي والنشاط السياسي لهذه المدينة خلال السنوات العشر التالية.

تسمح لنا دراسة نقود أرادوس بإغناء معرفتنا عن هذه المرحلة، إذ تحمل النقود المسكوكة على نمط الإسكندر، الصادرة عن أرادوس، بعض النقوش التي تشير الى أن جيروستراتوس واصل حكمه بعد سنة ٣٣٣ ق.م رغم السيطرة المقدونية آنذاك، كما تشير هذه النقود الى أن نظام أرادوس الملكي استمر على الأقل حتى وفاة الإسكندر، ولم نعثر على أية أدلة لوجود هذا النظام بعد ذلك. وتعطي النقود المسكوكة باسم الإسكندر الكبير في أرادوس معلومة ثانية، فبدءاً من عام ٣٢٣ - ٣٢٠ ق.م تحمل هذه النقود الأسطورة الإغريقية ΑΛΕΞΑΝΔΡΟΥ ΒΑΣΙΛΕΩΣ (« للملك الإسكندر »). ولقد سمحت الدراسة الدقيقة لهذه النقود بالتأكيد على أن أرادوس كانت إحدى أهم الورشات في العالم الإغريقي لسك نقود الإسكندر الكبير، ولهذه الصناعة الوفيرة علاقة مباشرة بتوقف جيوش الغازي المقدوني بعد وفاته، فقد استُعملت النقود المسكوكة في أرادوس لتسديد الرواتب المتأخرة للجنود القدماء قبل إعادتهم إلى بلادهم.

وأخيراً، يبين انتشار الكنوز النقدية المخبأة في القرن الرابع ق.م بأن نقود أرادوس من نمط الإسكندر وُجدت في جميع أنحاء العالم الإغريقي، ومن خلال هذه المعلومة الأخيرة نستنتج بأن ارادوسْ كانت أحد أهم الموانىء لترحيل جنود الإسكندر القدماء المحالين على التقاعد.

من إيميسا الى لاوديسا
النشاط النقدي في سورية الوسطى خلال الفترة الرومانية

كريستيان أوجيه
(المركز الوطني للبحوث العلمية، فرنسا)

تقدم سورية الوسطى خلال القرون الثلاثة الأولى للفترة الرومانية لوحة متناقضة فيما يتعلق بالنقود، إذ يُلاحظ وجود إنتاج متواصل للنقود المحلية في العديد من الورشات في الساحل المتوسطي، بينما يبقى هذا الإنتاج نادراً ومشتتاً في المناطق الواقعة شرقاً، أما في الداخل فنجد العملة التي قدمتها مقاطعة إنطاكية المركزية، وقد تحدد الإنتاج المحلي في إصدارات المدن الثلاث التالية: أفاميا خلال القرن الأول، رفانيا في عهد السيفيريين، إيميسا خلال الفترة نفسها، ثم خلال فترة أورانيوس أنتونين، بينما كان لورشات مدن شمال سورية، مثل كالسيس ـ قنسرين Chalcis-Kinnesrin، بيرويا ـ حلب Béroia-Alep، هييرابوليس ـ منبج Hiérapolis-Menbidj وسيروس Cyrrhos، نشاطاً ملحوظاً خلال القرن الثاني. ويبدو أن بعض الأماكن المهمة في سورية الوسطى لم تكن تعمل في سكّ النقود، خلال تلك الفترات على الأقل، مثل إبيفانيا ـ حماة Épiphaneia-Hama، أريتوز ـ الرستن Aréthuse-Rastan او لاريسا Larissa على العاصي.

نظراً لأهمية وأقدمية العديد من المدن (بخاصة أفاميا) حيث لا يمكن تجاهل الإنتاج خلال المرحلة الهلينيستية، فلا بد أن نتساءل عن أسباب تواضع الإنتاج في مرحلة غالباً ما يميزها تنمية إنتاج الأراضي وتطور طرق الاتصالات، فهل تكفي وفرة وانتظام الإنتاج في إنطاكية لتفسير هذا؟ وهل وصلت نقود ورشات الساحل إلى المناطق الداخلية؟ وهل تم تأكيد انتشار نقود أخرى من مقاطعات مجاورة مثل كالسيديك Chalcidique وسيرستيك Cyrrhestique أو حتى تدمر؟

يمكننا أن نجد بعض الأجوبة في اللقى النقدية من سورية الوسطى خلال السنوات العشر الأخيرة، وذلك بفضل تطور النشاط الأثري والأعمال التوثيقية، ورغم أن أغلبها لم

ينشر بعد، إلا أن النتائج الأولية التي علمنا بها تعطي بعض الادلة وتسمح بمقارنة الحركة النقدية في المناطق الداخلية وعلى الساحل، حيث أعطت النقود الرومانية المكتشفة في رأس ابن هاني مثالاً تعليمياً بوجه خاص.

أسماء الأعلام وحضارة سورية الوسطى خلال العصور الإغريقية والرومانية والبيزنطية

جان پول ريه ـ كوكيه
(جامعة ديجون، فرنسا)

تستند أسماء الاعلام في سورية الوسطى القديمة قبل كل شيء إلى النقوش، الإغريقية في أغلبها، وتنقسم الاعلام إلى ثلاثة مجموعات كبيرة، وهي الأسماء الإغريقية والرومانية والسامية، وتستند عليها مجموعة أسماء مسيحية في الفترة القديمة المتأخرة، ويتطلب استعمال الوثائق المنقوشة الحذر، إذ أن الاكتشافات بالصدفة، والقراءة غير المؤكدة للكتابات، والغموض الذي قد تكون له دلالة، والصعوبة في الإحاطة بالمجموعات الجغرافية، والغياب المتكرر للتاريخ، يمنع كل إحصائية حقيقية، ومع ذلك، يمكننا المحاولة لتقديم إقليمي وأحياناً تعاقبي للأعلام.

خلال المرحلة الهلينيستية، لا نعرف من الأعلام إلا اعلام ارادوس اليونانية، والأعلام من الكتابات من خارج سورية، ويلاحظ أن الكثير من الأسماء الإغريقية تطابق أسماء فينيقية أو منقولة منها، فأرادوس تنتمي إذن إلى عالم الثقافة الإغريقية، وتعطي الفترة الرومانية بعض الأسماء العربية أو السامية، وفي داخل البلاد أغلب الأعلام سامية، وعند تراجع أرادوس، أعطت هذه المدينة ـ المتحف، نغمة غريبة بروح إغريقية، كما وُجدت نغمة «بربرية» في إميسا Émèse العربية بكثافة، وقد أنتجت الصفوة أميرة منفتحة كجوليا دومنا، أو بعض مدرسي البلاغة «الإغريق» المعروفين، وإلى الشمال، أثبتت أفاميا نفسها كمدينة إغريقية كبيرة ذات تأثيرات شرقية، حيث الغنى الثقافي في المدارس الفلسفية وفي الفسيفساء، ويبدو أن أسماء الأعلام في مقاطعتها، وأسماء القرى فيها التي كانت سامية، كانت تساوي بين الأسماء السامية والأسماء الاغريقية، أما الأسماء «الرومانية» فكانت نادرة كما هو الحال في كل سورية الوسطى باستثناء رفانيا Raphanée القريبة من معسكر كبير، أما في اللاذقية Laodicée وفي المدن الساحلية المجاورة، بخاصة جبلة Gabala وبلانية Balanée، فتبدو

أسماء الاعلام الإغريقية واضحة بشدة، وبعدما أصبحت اللاذقية مستعمرة رومانية بقيت مدينة إغريقية، إذ احتفل لبانيوس بثقافتها ومكتباتها.

اما السمات المحلية الكبيرة لشكل الاعلام والثقافة في سورية الوسطى القديمة، فقد تمثلت في قوة التقاليد الهلينيستية في المنشأتين السلوقيتين الكبيرتين اللاذقية وافاميا، واستمرار الثقافة السامية والتغلغل الإغريقي الذي وصل إلى أرياف وجبال بلدان العاصي الأوسط، وامتداد الإنتشار العربي لإيميسا نحو البحر، وتراجع أرادوس، وضعف التأثير الروماني، والطابع المسيحي الواسع في المناطق الداخلية.

العلاقات بين المدن والأرياف في شمال سورية قبيل العصر البيزنطي

جورج تات
(جامعة فرساي، فرنسا)

يمكن تصور العلاقات بين المدن والأرياف من الناحية الشكلية سواء أكانت سياسية، اقتصادية، اجتماعية أو ثقافية، ومن ناحية كثافة انتشارها، وأخيراً من ناحية طبيعتها لأنها تستطيع أن تتبلور بشكل سيطرة أو تبادل أو مجرد تأثير. على كل حال، نادراً ما تقتصر هذه العلاقات على شكل بسيط، وينطبق هذا على المنطقة والمرحلة اللتين نحن بصددهما.

كانت المدن في شمالي سورية البيزنطية، وبخاصة أهمها: انطاكية، تسيطر، بلا شك، على الأرياف، وكانت هذه السيطرة سياسية ـ إدارية، لأنها كانت تشكل مقر السلطات السياسية والعسكرية والدينية. وكانت تسهر على حماية النظام وتنشئ سجلات الضرائب وتمسكها وتنظم تحصيلها، كما كانت هذه السيطرة اجتماعية ـ اقتصادية لأن اغلب الملاّكين العقاريين الكبار، إن لم نقل كلهم، كانوا يقيمون في المدينة حيث يجمعون «الريع العقاري». لقد كانت المدينة نفسها مالكة للعقارات وتستحوذ على ريعها، وأخيراً، كانت السيطرة «حضارية» أو «فكرية» حيث كان النموذج العمراني المدني يفرض نفسه في الأرياف.

كما كانت العلاقات بين المدن والأرياف ترتكز على التبادلات الاقتصادية المتغيرة التي تطورت حسب القيم في أسواق المدينة أو البلدات، مع التغييرات التي يفرضها تواتر الفصول والفروق المصادفة، ورغم ان العدد والشكل كانا يفرضان تنظيمات معينة، فلقد وُجدت سوق حرة كانت فيها الأسعار مرتبطة بالعرض والطلب، ومن جهة أخرى، لا يبدو أن الملكيات الكبيرة كانت قطعة واحدة لمالك واحد أو أنها كانت مكتفية اقتصادياً، بل بالعكس كانت تتألف من قرى وقطاعات مشتتة فيها، وكان الأجر يُحصّل من السكان دون الضغط عليهم، وكان هؤلاء السكان يستطيعون بيع جزء من انتاجهم بحرية طالما كانوا يوفون ما عليهم من الضرائب العقارية، كما وُجدت قرى حرة، خاصةً في المناطق الحدودية والكتلة

الكلسية والمنطقة البازلتية الواقعة في أطراف السهوب، ولم تكن المناطق تابعة لأي ملاَّك كبير، وكانت تتصرف بكل مالديها، وكان هؤلاء الريفيون الأحرار من الناحيتين القانونية والإقتصادية يذهبون إلى البلدات المجاورة أو المدينة لبيع إنتاجهم الزراعي أو الحرفي والعودة بالنقود أو السلع.

مع ذلك، ينبغي الإضافة بأن الأرياف كانت تقاوم سيطرة المدينة وتأثيرها عليها، ويوضح تطور شكل السيطرة قدرتهم على مقاومة تجاوزات الحكم من قبل المدنيين، أما دور المتقشفين ثم الأديرة فكان أهم، كانوا يطالبون بحياة معاكسة لحياة المدن، وكانوا يشكلون نوعاً من مجتمع نقيض. ويدل بناء معبد القديس سمعان في جبل سمعان على ما لهذه الظاهرة الجديدة من وزن كبير.

إبنة حمص (سورية) الإمبراطورة جوليا دومنا ١٥٨-٢١٧م
زوجة الإمبراطور سيبتيم سيفير
وأم الإمبراطورين كاراكالا وجيتا

بشير زهدي
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

ولدت جوليا في حمص عام ١٥٨م، وكان أبوها سادن معبد رب الشمس في حمص (جوليوس باسيانوس). تنبأ لها المتنبئون بالنجم السعيد والمستقبل السعيد، وكانت ذات جمال متميز وصفات جميلة للملامح والفكر. اهتم أبوها بتثقيفها مما يفسر سعة إطلاعها الأدبي والفلسفي.

وكان القائد سيبتيم سيفير شجاعاً وخبيراً بالقضايا الحربية، ولد في لبدة عام ١٤٦م، وعهد إليه بمهمة عسكرية في حمص، مما أتاح له فرصة التعرف على السادن جوليوس باسيانوس وأسرته، وكان قد فقد زوجته، وقد أعجب بجمال الفتاة جوليا وذكائها ونباهتها، مما جعله يطلب يدها من أبيها للزواج منها، فوافق الوالد على هذا الزواج وباركه.

وكان للقائد سيبتيم سيفير مكانته المتميزة لدى الإمبراطور (مارك أوريل) وزوجته الإمبراطورة (فوستينا) التي اهتمت بموضوع زواج هذا القائد ووصفت زواجه بزواج محبة وصداقة.

وبعد وفاة الإمبراطور (مارك أوريل) ثم الإمبراطور (كومود) سادت الفوضى أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وكانت جوليا ذات تأثير كبير على زوجها ودفعته ليصبح إمبراطوراً، وحثّت فيه كل طموحاته.

استطاع الإمبراطور (سيبتيم سيفير) أن ينتصر على خصميه (بيسينيوس نيجر) و(كلوديوس آلبينوس) وكانت (جوليا) تتمتع بكل امتيازات الشرف، ومن ألقابها الشرفية: الأم الأوغست، أم الوطن، أم مجلس الشيوخ، أم المعسكرات... واتخذ الإمبراطور سيبتيم سيفير لقب السيد Dominus واتخذت جوليا لقب سيدة Domna فصارت تعرف منذئذ باسم (جوليا دومنا).

ولد ابنهما البكر (أنطونينوس / كاراكالا) في ٤ نيسان ١٨٨م، وابنهما الثاني (جيتا) في ٢٧ أيار ١٨٩م، وكان زواج سيبتيم سيفر وجوليا دومنا كالعسل أو كترجمة لقصيدة العاطفة الزوجية السعيدة، ولكن نزاع ولديهما كاراكالا وجيتا كان يثير قلق أبويهما اللذين فشلا في خلق الشعور الأخوي بينهما، واحتفل الإمبراطور سيبتيم سيڤير بعيد (الصداقة الأخوية)، وسك نقوداً تمثل الأخوين يتصافحان وتحيط بصورتهما عبارة (الإتفاق الدائم).

وفي عام ١٩٨م أعلن الإمبراطور سيبتيم سيڤير ابنه كاراكالا قيصراً، كما أعلن في عام ٢٠٩م ابنه الآخر جيتا قيصراً.

وكانت (جوليا دومنا) تحيط نفسها بكبار الفلاسفة ورجال الآداب مثل الفقيه (إميليوس بابينيان) والفقيه (اولبيانوس) والفقيه (جوليوس بولس) والسفسطائي فيلوستراتيس الذي كان ينشد أناشيد البطولات Heroicos، وقد عهدت إليه الإمبراطورة جوليا دومنا بتأليف كتاب عن أبولونيوس من تيان تلميذ فيثاغورث، أضف اليهم الطبيب الكبير جالينوس، والقصصي ايليان، والمؤرخ ديون كاسيوس، وكاتب التراجم ديوجين دولايرت والسفسطائي آنتيباتير المنبجي، والفيلسوف كورنيليوس فرونتون الحمصي والشاعر جورديان... وغيرهم... وكان قصر (جوليا دومنا) يبدو (كقصر ثقافة).

وكانت وفاة الإمبراطور سيبتيم سيڤير عام ٢١١م سبب أحزان الإمبراطورة (جوليا دومنا) ومأساتها، واستطاعت بعاطفة أمومتها أن تسود ولديها (كاراكالا) و(جيتا)، وهناك نقد جميل محفوظ في متحف (جمعية النقود) في نيويورك يمثل الإمبراطورة (جوليا دومنا) بين ابنيها (كاراكالا) و(جيتا)، وكانت (جوليا دومنا) تحلم بأن تكون مشهورة مثل الملكة الآشورية سميراميس.

وكان نزاع ابنيها (كاراكالا) و(جيتا) وحقدهما على بعضهما موضوع قلق الإمبراطورة (جوليا دومنا)، وفي عام ٢١٢م اغتال (كاراكالا) أخاه (جيتا)، فضاعفت هذه الجريمة أحزان الإمبراطورة (جوليا دومنا) وكربتها وكآبتها. فقدت (جوليا دومنا) زوجها الامبراطور (سيبتيم سيڤير) كما فقدت ابنها (جيتا) وكانت قلقة على ابنها (كاراكالا) الذي كانت حملاته الحربية في كل مكان ضد القوط والسارماتيين والفرس... واستطاع الإمبراطور (كاراكالا) أن يحافظ على قوة الإمبراطورية الرومانية وهيبتها وأمجادها الحربية.

بعد اغتيال (جيتا)، حاول الامبراطور (كاراكالا) أن يعزّي أمه وينسيها جريمته بإطلاق يدها في الإمبراطورية، وفي ٨ نيسان ٢١٧م استطاع رجال (مقرينوس) اغتيال الإمبراطور (كاراكالا) في وقت كان فيه (كاراكالا) يعد حملته الحربية ضد الفرس عام ٢١٦م ولم يتجاوز عمره التاسعة والعشرين سنة، مما أيقظ الأحزان من جديد في نفس (الإمبراطورة الأم) التي فقدت زوجها الإمبراطور (سيبتيم سيفير) ثم ابنها (جيتا) ثم ابنها الآخر (كاراكالا)، مما جعلها تشعر باليأس الحقيقي الذي سلبها سبب وجودها وحياتها. لقد يئست من الحياة ولم تعد ترغب فيها، وشعرت بأن أحزانها لاشفاء لها، وقد أحسّت باليأس القاتل، فانعزلت عن المجتمع منطوية على نفسها، تمضي لحظاتها الأخيرة من حياتها مع الأحزان واليأس وعدم تناول الطعام والشراب حتى فارقت الحياة.

دفنت الإمبراطورة جوليا دومنا في روما جانب قبر زوجها بالطقوس الرسمية.

وإن متاحف العالم تفخر بما لديها من مجموعات نقود الإمبراطورة (جوليا دومنا) وتماثيلها الجميلة، وإن العظماء يحتفظون دائماً بجمال عظمتهم الأبدية وجلالها مدى حياتهم وبعد وفاتهم.

كلاوديا أفاميا
معطيات جديدة حول تاريخ وطوبوغرافية أفاميا

جان ـ شارل بالتي
(متحف الفن والتاريخ، بلجيكا)

طوّرت البحوث التي تمت منذ بضع سنين على الباب الشمالي معرفتنا بتاريخ المدينة قبل زلزال ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١١٥ م الذي غير مظهرها كثيراً، ويحصر سور أفاميا الهلينيستية مساحة تبلغ حوالي ٢٣٠ هكتاراً، وهي مساحة الفترة الرومانية نفسها، كما يحصر شارعاً على جانبيه الأعمدة الكبيرة، وهو يقطع الموقع من الشمال الى الجنوب، مكوناً، بدون شك، صلب كل المخطط المدني الذي وُسع خلال إعادة بنائه في القرن الثاني الميلادي، والذي كان يمتد خارج الأسوار منذ القرن الأول ق.م على الأقل، أما بالنسبة للأعمدة الكبيرة، فقد صُنعت على الطراز الكورنثي بدل الطراز الدوري المركب الذي كان متفوقاً حتى ذلك الحين، ويبدو أن استخدام الطراز الكورنثي الذي يميز الامبراطورية في كل المقاطعات، يدل فعلاً على نهاية مرحلة.

في سنة ١٩٩٧، تم اكتشاف نصب تكريمي مهدى لحاكم المقاطعة س. ايميديوس كوادراتوس خلال عهد كلود مقابل القوس الداخلي للباب الشمالي، ولقد لفت هذا الاكتشاف الانتباه ثانيةً إلى فترة كانت أساسية في تاريخ المدينة، ففي هذه الفترة أخذت أفاميا صفة كلاوديا (كلاوديا افاميا Claudia Apamea) حتى القرن الثالث، ويبدو كذلك أن النقش المكتشف خلال اعمال الترميم للأجزاء الأولى من الأعمدة عند الباب الشمالي يعود إلى هذه الفترة، ويذكر هذا النقش عملية جر مياه لها علاقة بإنشاء معبد حوريات الماء الشمالي الذي بُني خلال هذه الفترة. لقد تغيرت السويّات بالتأكيد من فترة إلى أخرى، فقد ارتفعت الأرضية بين ٤٥ و ٥٥ سم منذ عهد كلود، ومتراً واحداً منذ نهاية العصر الهلنيستي بسبب الزلازل المتتالية، لكن مميزات المدينة بقيت، كما بقيت بعض النصب في أماكنها. لقد بُني العمود الأول للرواق الشرقي في شارع الأعمدة الكبيرة بهدم معبد الحوريات الذي

يرتكز عليه، وبقيت مصطبة س. ايميديوس كوادراتوس رغم التغييرات التي أحدثت في المرحلة البيزنطية إلى أن وقعت زلازل القرن الثاني عشر (وُجدت كتلة إفريز على جدار فرن من الكلس في القرون الوسطى، أنشئ مقابل القوس الخارجي للباب الشمالي)، ولقد أصبح تتابع هذه الأعمال وهذه المراحل واضحاً جداً الآن.

تحصينات أفاميا على نهر العاصي

ديديه فيفيه
(جامعة بروكسل الحرة، بلجيكا)

سنقوم في هذه المحاضرة بعرض الأبحاث التي تمت في الجزء الشمالي الشرقي من تحصينات أفاميا القديمة ابتداءً من عام ١٩٨٧ ، وبعد شرح صعوبات التفسير ومشاكل منهجية البحث، سوف نحاول تحديد تطور السور انطلاقاً من بعض المناطق المنقبة . لقد سمحت نتائج مواسم التنقيب الأخيرة بتحديد تسلسل مختلف مراحل إعادة بناء السور من جهة، والسمات العامة التي تميز كل فترة من جهة أخرى، دون التطرق لقوة نظام المدينة الدفاعي . وسوف نركز على تجديدات السور الأخيرة ابتداء من القرن السادس الميلادي التي تكشف عن تغييرات هامة جداً لخطط الحركة داخل المدينة وخارجها، ولتوضيح أهم مراحل إعادة بناء السور، سوف نقترح إعادة تشكيل لأبراج الجزء الشمالي الشرقي للحصن، وعن طريق تحليل الخصوصيات التقنية لهذه الأبراج، سوف نحاول توضيح الظروف التي حددت طريقة تجديد البناء المتتالي (التدمير بعد هجوم وبعد زلزال، تغييرات استلزمها تطور التقنيات الخاصة بالحصار، . . .الخ)، وأخيراً، سوف نوضح الإسهام العام لدراسة تحصينات أفاميا القديمة في معلوماتنا حول الأسوار اليونانية ـ الرومانية .

إسريا ـ سريانا من بداية العهد القيصري حتى نهاية العهد البيزنطي في سورية الدلائل الأثرية والتاريخية

روديغر غوغريفه
(معهد الأبحاث الألماني، ألمانيا)

سنوضح في بحثنا هذا بعض نتائج المسح والتنقيبات التي يقوم بها معهد الآثار الألماني في دمشق. تقع إسريا على بعد ٣٠كم إلى الشرق من حدود الهلال الخصيب في الوسط السوري، وتتميز بالآبار التي تسمح بقيام أنواع من الزراعة، وقد ساعدت الظروف الطبيعية في إسريا، المختلفة عن الطبيعة البدوية المجاورة، على نشوء مبنى ديني ومستوطنة.

يبدو أن الأنواع المبكرة من الفخار العائدة لفترة أوغستين لاترتبط بالعمارة، بل تدل على نشاطات حياتية خلال الفترة القيصرية المبكرة، وهناك العديد من الدلائل الأخرى في المعبد المعروف من الفترة السيفيرية. وتدل بعض الاحجار المستخدمة في بنائه، والمعاد استعمالها، على وجود مبنى سابق له كانت جزءاً منه، ولايمكن معرفة أي معلومات عنها باستثناء شكلها وأبعادها، ولكن وجودها يلقي الضوء على تمثال أبولون البرونزي ذي الطراز الكلاسيكي الذي يعود هو الآخر إلى الفترة القيصرية المبكرة وليس إلى الفترة السيفيرية التي أعيد خلالها بناء المبنى الديني. وهكذا يمكن أن نتوقع وجود معبد صغير كان أبولون الإله الرئيس فيه، يؤكد هذه الفكرة وجود عنصر معروف في المعابد ـ مهابط الوحي، وهو الفتحة الموجودة على الواجهة الصخرية كما في chamsa المعروفة في هيرابوليس ـ منبج، وهي غير مرئية من الخارج، وتقع مباشرة تحت الهيكل المقدس (السيلا) السيفيري. ولابد من وجود سبب مهم جداً لهذا الإنشاء الخطير، ووضع المعبد في هذا المكان بالذات، والنقطة الأخرى المهمة هي القبو ذو القبوة الواقع تحت أرضية الهيكل المقدس (السيلا) فوق الفجوة المذكورة سابقاً، وهو أيضاً من المميزات الخاصة بالمعابد ـ مهابط الوحي. ويمكن أن تشير الدلائل التاريخية على أن المعبد كان نقطة إلتقاء للبدو بين تدمر والفرات، ويبقى النقاش قائماً حول

سبب اختيار مقيمي الشعائر في المعبد الطراز الغربي أي الشكل الروماني لتمثال أبولون لتمجيد إله يقدم الوحي، وعدم اختيار شكل شرقي له أمثلة متعددة في الجوار، وتدل خواص المعبد السيفيري المتأخر على وجود تشابه مع ماهو معروف من المصادر التاريخية عن معبد منبج، لكن هذا التشابه لايجيب عن السؤال عمن أمر بإعادة بناء المعبد بهذا البذخ خلال الفترة السيفيرية، فقد كانت سريانا مكاناً أخذ أهمية متعاظمة من الإدارة العسكرية لمقاطعة سورية ابتداء من ذلك العصر، ويظهر ذلك واضحاً من خلال إنشاء الطرق والسياسات العسكرية العامة، وقدأدى اختلاف نسبة الإهتمام بهذه المنطقة إلى بناء حصن روماني في أوائل القرن الرابع، كما شهدت الفترة البيزنطية ضم المعبد إلى أسوار المدينة كبرج عند توسع موقع سريانا.

الحمامات العائدة لقُبيل العصر البيزنطي في سورية الشمالية

جيرار شاربانتيه
(بيت الشرق، فرنسا)

تشكل الحمامات العائدة لقُبيل العصر البيزنطي في «أرياف شمالي سورية» موضوعاً ذا ميزة محلية واضحة جداً وموحدة التركيب سواء من الناحية المورفولوجية والجغرافية أو من الناحية التاريخية والحضارية، وغالباً ما تعتبر هذه الأبنية كمنشآت انتقالية بين الحمامات القديمة والحمامات العربية، وترتبط بممارسة جديدة ظهرت في منتصف القرن الرابع الميلادي.

انشئت هذه الحمامات في بعض القرى في الكتلة الكلسية: وقد وجدت خمسة منها في الجبال الشمالية في براد Bràd، دانا الشمالية Dana nord، جوّانية Guwaniye، واثنان في بابسقة Bàbisqa؛ كما تم تحديد خمسة حمامات أخرى في سرجيلا Sergilla، ومجليّا Mugleyya، وشنشراح Sinšarah، والبارة El-Bara، وفريكية Frikia، ويبدو أن مقاييس التحديد في بعض الأحيان قابلة للنقاش، كما يجب إعادة تعريف الحمامات العائدة لقُبيل العصر البيزنطي في الكتلة الكلسية. وتتطلب التفسيرات العامة والفرضيات حول وظيفتها المنشورة منذ بداية هذا القرن، التصحيح والإكمال على ضوء المكتشفات الجديدة، فقد تكون هذه الحمامات أضخم المباني في التجمع، مع غرفة مركزية كبيرة تستطيع أن تلعب دور القاعة المتعددة الاستعمالات (قاعة الحفلات، قاعة الإجتماع أو المجلس).

أخيراً، يمكن مقارنة هذا الموضوع مع مجموعة حمامات سورية الصغيرة المؤسسة في العصور الرومانية والبيزنطية والأموية، ومتابعة التطور المحلي لمبنى الحمام القديم منذ القرن الثاني إلى القرن الثامن الميلادي بدون توقف، وذلك للبحث عن ارتباط محتمل بين الحمامات القديمة والحمامات العربية الأولى في سورية.

دير صُليب

إحسان الشيشكلي
(باحث، سورية)

يقع في سورية الوسطى، محافظة حماة، على طريق حماة مصياف، ٨كم شرق مصياف، ننحدر جنوباً ١كم، نقترب من الأثر الذي أعطى اسمه إلى القرية التي تبعد عنه ١كم، نلاحظ حنية كبرى Abside بحالة جيدة بقبوتها المماثلة لقاع الفرن ذات صنعة حسنة رشيقة على مقربة من الدعامة الكبرى للواجهة بتاجها الكبير.

قام بكشف البناء الكابتن فويللود Vuillud مفتش إداري في مصياف عام ١٩٣٥ والتقط اللواء ٣٩ جوي الصور الجوية.

تحاط الكنيسة بجدار حاجز مستطيل ٦٥X٤٥م، يزيد العرض في الزاوية الجنوبية الغربية ليضم المدفن، يذكر هذا الحاجز بحاجز الكنيسة الشمالية في دويحة إدلب «بيزوس» وكذلك بكنيسة الحصن في البارة.

ندخل إلى باحة ٣٠X٢٦م فنشاهد واجهة يبلغ عرضها ٢٢م مع الكنيسة و٢٣م مع غرفة المعمودية جنوباً وغرفة مناظرة لها شمالاً.

ونأتي وراء الواجهة النارتكس بعمق ٤,٥٠م حيث تصالب غرفة المعمودية يميناً وشمالاً بناء يغطي الدرج.

مخطط الكنيسة: صفان من الأعمدة، خمسة في كلّ جانب، يقسم الصحن المركزي إلى ثلاثة أفنية، فناء رئيس وسطي ينتهي شرقاً إلى حنية المعبد بشكل نصف كروي وأبعاد النوافذ هي صفة ظاهرة للكنيسة، ثلاث في المعبد وأربع في كل فناء جانبي توضعت على الجدار الجنوبي والشمالي ولكن مقابل الفراغ الذي يتشكل بين الأعمدة، وكان هناك منابر تفتح على الفناء الرئيس بواسطة أقواس.

نتعرف على مكان النوافذ التي كانت تنير هذه المنابر وهذه وضعية قليلة في نوافذ الكنائس السورية القديمة بين الفراغ الذي ترسمه الأعمدة على الجدار.

للكنيسة خصوصية أخرى وهي وجود «بيما» في وسط الفناء الرئيس عبارة عن حجر كبير أبعاده ١٩٢X٢٨٨سم وارتفاعه أو سماكته ٣٠سم وهو ذو شكل غريب.

البروتيريس (غرفة الهدايا) والدياكونيكون (غرفة تحضير الصلاة) ليستا في محلهما الطبيعي وقياسهما ٤,٥٥X٤,٤٥م.

إلى جانب غياب النحت التزييني تجدر ملاحظة غياب الكتابات خاصة ما يدل منها على اسم أو تاريخ سواء على الجدران أو حتّى على المدفن. يدلنا تطور المخطط وتنظيم الواجهة على التاريخ وهو النصف الثاني من القرن الخامس، يبدو هذا التاريخ معقولاً بالنسبة لزمن الفسيفساء التي يمكن وصفها بورقة مستقلة. كانت جدران داخل الكنيسة مكسية بطلاء بدليل وجود أجزاء يسيرة نراها في جانب من جدار الصحن المركزي والجدار الجنوبي الغربي وهي تحمل نقشاً تبقى منه أثر واهٍ يؤلف أشكالاً زخرفية هندسية يذكرنا بالدهان المتبقي في كنيسة قلب لوزة في جدران الصحن المركزي لقبة الهيكل.

وجاء هذا الفن الاتباعي على أيدي الصناع السوريين المهرة ويزداد التأثير حيث تحتفظ أعمالهم بالجمال والدقة، حيث حافظوا على الشكل البازيليكي في كنائسهم حيث كانت شعوب أخرى أقلّ تأثراً بالفن اليوناني كالأرمن مثلاً، فقد تأثروا أكثر بالفن الفارسي من حيث الصحن المتوسط أو بشكل الصليب مع القبة وشكل الحنية.

ولم تتأثر العمارة السورية بالفن البيزنطي حيث لم يتعدّل المخطط السوري، وعرف المهندسون السوريون كلّ على طريقته إدخالها لتدلّ على أثر شخصيتهم الحية وتقدموا بالبازيليك لتطبيع قلب لوزة ومار سمعان، خلال مدة تجاوزت ثلاثمائة عام من ٣٠٠-٦٣٥م حيث طور المهندس السوري الريازة من حيث أصالة الشكل والمخطط وتوازن الكتل المعمارية بمعالجة عقلانية للتفاصيل والتطبيقات وتوزيع العناصر الزخرفية متجاوزاً المدارس المعاصرة دون منازع.

جوقة فلاسفة أفاميا

جانين بالتي
(متحف الفن والتاريخ، بلجيكا)

يهدف هذا العرض إلى توضيح الدور الهام الذي لعبته أفاميا في نشر الفلسفة الأفلاطونية المحدثة. ومنذ عام ١٩١٩، كان ج. بيدس J. Bides أول من اقترح الاعتراف بهذه المدينة كالمكان الذي كان التلاميذ يسرعون إليه للاستماع إلى جومبليك كالسيس Jambilique Chalcis، الفيلسوف « المستلهم بالآلهة » (تلميذ بورفير Porphyre، خليفة أفلاطون في روما) ، حسب يوناب Eunape (Vit. Soph . 458) . وهناك أربعة أدلة لتأكيد هذه الفرضية: رسائل جوليان Pseudo-Julien من جهة، وثلاث تلميحات واضحة جداً في عمل ليبانيوس Libanius (بخاصة ذكر « جوقة فلاسفة أفاميا حيث الرئيس يشبه الآلهة ») من جهة أخرى، لكن عادة تدريس الأفلاطونية المحدثة في أفاميا تعود إلى تاريخ أقدم، فقد ساهمت بحوث حديثة في إلقاء الضوء على وجوه غير معروفة جيداً قبل ذلك الحين: لنمينيوس أفاميا (النصف الثاني للقرن الثاني ميلادي، وقد كان أهم سلف لأفلاطون)، وإميليوس جنتيليانوس - وهو مختص في أعمال نمينيوس وتلميذ أفلاطون في روما، وقد استقر في افاميا سنة ٢٦٩م للتدريس لمدة تقارب الثلاثين عاماً، وقد يكون جومبليك كالسيس الشاب قد درس على يده في ذلك الحين قبل مغادرته إلى روما للدراسة بجانب بورفير، ثم عودته إلى أفاميا ليترأس المدرسة، وعند وفاته سنة ٣٢٥م، خلفه صديقه وزميله سوباتروس أفاميا لمدة قصيرة فقط، لأنه استدعي لاستلام منصب عالٍ في بلاط قسطنطين Constantin، ثم ذهب ضحية مؤامرة وقُتل، ويبدو أن تدريس الأفلاطونية المحدثة في أفاميا قد توقف عندها.

يبدو أن هذا التقليد قد بقي، ويعطي علم الآثار هنا دلائل ترفضها النصوص، إذ عُثر على مجموعة من لوحات فسيفساء تسمح الزخرفة الهندسية عليها بتأريخها في النصف الثاني للقرن الرابع (عصر جوليان)، وتظهر مواضيع أفلاطونية محدثة بحتة: سقراط مع

حكماء، تفوق الفلسفة على الفنون الحرة في البحث عن العقل، صورة كاسيوبيا كرمز للروح البشرية وهي تنفصل عن المحسوس وتعرف الجمال. وقد يكون مغرياً أن نرى في سوباتروس الشاب، ابن سوباتروس الأول ومراسل ليبانيوس سنة ٣٦٠م، ممولاً لهذا التجمع الذي كان ذكرى للماضي المشرق، ولقد أعطت التنقيبات معلومات قليلة عن مخطط البناء الذي كانت تزخرفه هذه الفسيفساء، وأياً كانت وظيفتها المحددة، فقد كان هذا المكان حاملاً ولاشك لأيديولوجية قوية، اذ تم تاسيس كنيسة في المكان نفسه منذ القرن الخامس، اصبحت كاتيدرائية في القرن السادس بهدف محو الذكرى.

إذن فقد كانت افاميا مركز الأفلاطونية المحدثة لمدة حوالي قرنين.

الأساطير في فسيفساء شهبا «فيليبوبوليس» وحماة

حسن حاطوم
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

اهمية الأساطير الكلاسيكية:

لعل الإنسانية لم تكن وفية لأثر من آثارها وفاءها للأسطورة اليونانية ـ الرومانية، فإذا ما تلفتنا حولنا في هذا العصر الذي نعيش فيه، نلمح مؤلفات الكتاب والشعراء الأوربيين: ج.ب سارتر ـ ج. كوكتو ـ آ. كامو ـ أ. جيد ـ ت.س. اليوت ـ ج. جيرودو ـ وآخرين ممن تناولوا الأسطورة.

لا يقتصر تناول الاسطورة على الشكل الأدبي أو الفلسفي بل يتعداه الى حركة الترميز، والتسميات العلمية: المركبات الفضائية، الصواريخ، توابع الكواكب في المجموعة الشمسية، معظمها حمل أسماء أسطورية.

قبل الاوربيون، اتخذ نفر من أسلافنا موقفاً إيجابياً تجاه الاسطورة الكلاسيكية مثل: الطبيب الدمشقي (ابن أبي أصيبعة) و(ابن جلجل) وآخرون.

في أوربا اليونانية الرومانية القديمة نلاحظ سعة الإهتمام بالأسطورة واستثمارها لدى: سينيك ـ أوفيد ـ الأبيقوريين ـ الرواقيين ـ ومن قبلهم أفلاطون، وهناك شعراء المأساة العظام: هوميروس ـ أسخيليوس ـ سوفوكلوس ـ يوريبيدس ـ كاليماك... وفنانون: فيدياس ـ براكسيتيل ـ سكوباس ـ رافائيل ـ كانوفا... حيث أغنت أعمالهم المباني التذكارية والمتاحف والمكتبات في مجال الاسطورة وتفسيراتها.

تضم بلادنا أوابد لا تحصى، ظاهرة ومخفية تعج بالمشاهد الاسطورية، وتحتاج دراستها وتحليلها إلى ثقافة أسطورية عميقة فضلاً عن الثقافتين التاريخية والأثرية، وهناك دلالات كثيرة في الأساطير تشير إلى ينابيع الحضارة السابقة على الهيلينية: في بلاد الشام ـ مصر ـ بلاد ما بين النهرين وغيرها.

قسم بيير غريمال الأساطير وصنفها ضمن خمس مجموعات:

الأسطورة العليا ـ الجولات البطولية ـ الأخبار الأسطورية ـ الحكايات التشخيصية ـ الحكايات الشعبية والطرائف.

ورغم التفاوت بين الأصناف الخمسة من حيث الدلالة، فإن معظمها قد اكتسب على مر التاريخ دلالات حية غنية ومتطورة، حسب القيم التي يريد المتناولون العديدون أن يعبروا عنها بواسطتها، ويعود سبب ذيوع وأثر هذه الأساطير إلى جملة من العوامل: التاريخية، الثقافية، الجغرافية، وقد امتد تفسير الأساطير اليونانية إلى الأساطير الرومانية، واتخذت الآلهة والشخصيات الأسطورية أسماء مختلفة.

الأصول والمصادر:

يعتبر هوميروس من أعلام كتاب الأسطورة الإغريقية (الألياذة والأوديسة)، وبعده هزيود في كتابه (أنساب الآلهة)، ثم شعراء المأساة العظام: أسخيلوس ـ سوفوكلوس ـ يوريبيديس، والروائي الهزلي أرستوفان، والفيلسوف أفلاطون، منذ القرن السادس ق.م هيكايتوس، ثم أتى بعده آكوزيلاوس وهيلانيكوس الميتيليني، ومعاصره توسيديد، وفي نهاية القرن الخامس، بدأ على يد هيرودوروس إتجاه جديد يعنى بالبحث عن المعنى العميق للأسطورة، تبعه بعد قرن من الزمن أيفيميروس الصقلي الذي اعتبر الآلهة بشرا أُلّهوا بسبب جدارتهم وخدماتهم، ثم ديودوروس الصقلي الذي حفظ لنا عدداً من هذه التفسيرات العقلية التي أولع بها الفكر الروماني والتقت مع رمزية الفلاسفة: الأبيقوريين، الرواقيين، والفيثاغوريين الجدد.

في القرن السادس ق.م غدا باليفاتوس الصقلي مكملاً لمدرسة ايفيميروس في مؤلفه (هيراكليت)، وفي العصر الهلنستي كتب ايراتوستين مجموعته (الرفع الى السماء)، وهناك مخطوطات أبولودوروس النحوي الأثيني، بعده أتى تلميذه أرسطرخس الساموتراسي في مؤلفه (المكتبة) ومن أهم المراجع في بداية العصر الروماني ملحمة فيرجيل (الإلياذة).

ومع توسع الإمبراطورية الرومانية، ظهر إتجاه جديد لدى الجغرافي سترابون، ثم بوزانياس في القرن الثاني الميلادي، حيث قاموا بوصف الاقاليم اليونانية، وظهر إتجاه كتابة ملخصات ومختارات لدى الكاتب أنطونيوس ليبيراليس، تناسب القارىء الروماني ذي الثقافة المحدودة، كما ظهر إتجاه ثالث مثلّه نيكاندروس الذي كتب في (التحولات) و(الحكايات الشعبية)،

والذي استقى منه أوفيد مؤلفه، وضمن هذا الإتجاه كتب بارثينيوس النيقي الإسكندري مختارات من أساطير الحب، وقلد بعض المؤلفين اللاتين، المؤلفين الإغريق، فكتب هيجين مقلداً ايراتوستين، وفاليريوس مقلداً ابولونيوس الرودوسي، وبروبيرس كتب مقلداً عودة أوليس في الأوديسة.

وبين الكتّاب المسيحيين كليمان الإسكندري والقديس أوغسطين الذين تناولوا الأسطورة إيراداً ونقضاً، وبقيت الجهود المسيحية مستمرة حتى القرن الثاني عشر على يد الشراح البيزنطيين.

يجب علينا أن نتذكر كل المفكرين والمؤرخين والآثاريين الذين قاموا بدراسة الأساطير الإغريقية ـ الرومانية على مختلف أشكالها ويستحقون كل احترامنا وتقديرنا، نذكر منهم على سبيل المثال:

ر. دوسّو ـ ش. بيكار ـ ب. غريمال ـ أ. فيل ـ د. سورديل ـ ج. وجانين بالتي ـ ا. ج. فيستوجيير ـ د. ليفي ـ ج. لاسوس ـ هـ. ستيرن ـ ع. بني ـ ب. زهدي ـ س. وأندريه عبد الحق ـ س. عثمان ـ ع. ر. أصفر ـ د. خشبه. وغيرهم الكثير.

تتركز دراستنا حول لوحات الفسيفساء التالية:

ـ في شهبا (فيليبوبوليس) ـ ثلاث مجموعات من اللوحات:

١ـ في منتصف القرن الثالث الميلادي: فينوس آلهة الجمال والحب ـ مفاجأة أرتيميس ـ مشهد إهداء لآلهة الخصب.

٢ـ في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي: مشهد الوليمة ـ أعراس ثيتيس وبيليه ـ رموز التربية والعدالة والفلسفة ـ هيبوداميا ـ آيون.

٣ـ الربع الثاني من القرن الرابع الميلادي: أورفيوس ـ أعراس ديونيسوس وأريان ـ غرام أفروديت وآريس ـ تيتيس إلهة البحر.

ـ في حماة ومنطقتها لوحات الفسيفساء التالية:

ـ مشهد مرفثي ـ جيا والفصول ـ عودة أوليس والتيرابينيد (الخادمات) ـ سقراط والحكماء ـ حكم النيريديات ـ الموسيقيات ـ غصنية أكانت ومشاهد صيد ـ مشاهد صيد ـ الأمازونات الصيادات ـ ميلياغر وأتالانت ـ غصنية مزينة بالطيور ـ مجموعة حيوانات.

ـ لوحات الفسيفساء في حماة مؤرخة بين القرنين الرابع والسادس الميلادي، ومعظمها مكتشف في موقع أفاميا.

فسيفساء طيبة الإمام

عبد الرزاق زقزوق
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

طيبة الإمام قرية تقع على بعد ١٥ كم إلى الشمال من مدينة حماة عثر في وسطها على بيت بيزنطي لازلنا نعمل فيه حتى الآن، ولازالت بعض غرفه تحتفظ بارضها الفسيفسائية ذات الزخارف المختلفة. يتكون هذا البيت من باحة تحيط بها الأروقة من جهاتها الأربع وخلف الاروقة توجد قاعات وغرف هذا البيت، وأهم هذه الغرف يقع في الجهة الغربية ولازالت أرضها تحتفظ بالقسم الأكبر من فسيفسائها ذات الزخارف الهندسية، ولاأريد الكلام هنا عن هذا البيت......، ولكنني سأتحدث عن الفسيفساء التي تم العثور عليها على بعد مائة متر تقريباً غرب هذا القصر، وهي أرض كنيسة لها طراز البازليك، ولم نعثر على أية حجارة أو أساسات للمبنى الذي عثر فيه على هذه الفسيفساء.

تغطي هذه الفسيفساء تربة حمراء زراعية يتراوح عمقها بين ٣٠-٥٠سم ولم نعثر فيها على كسر فخارية إطلاقاً، ولحسن الحظ فإن الإنسان الذي أخذ حجارة هذا المبنى قد ترك الفسيفساء سليمة في مكانها، إذ أن معظم أقسام هذه الفسيفساء التي تبلغ مساحتها حوالي (٦٠٠م٢) ستمائة متر مربع سليمة وبحالة جيدة.

لقد تم العثور على نص كتابي يوناني في منطقة الحنية، تؤرخ هذه الفسيفساء في عام ٧٥٤ سلوقية، التي يعادلها ٤٤٢م وقد تعرض هذا النص لبعض التخريب.

هذه الفسيفساء غنية جداً بزخارفها. وأهم مايميزها رسوم مبان مدنية وكنائس معظمها لها طراز البازيليك ويوجد في منطقة المجاز (The Nave) منظران لكنيستين لهما طراز الصليب، إحداهما سليمة والثانية تطرق إليها التلف للأسف، فخرب معظمها.

وهناك رسوم أخرى لكنائس كثيرة لها طراز البازيليك موجودة في فسيفساء طيبة الأمام، وكتبت أسماء بعض هذه الكنائس فوقها بأحرف يونانية، مثل كنيسة بيت لحم،

وكنيسة القدس، ويلاحظ وجود تخريب بسيط في كتابة كنيسة القدس، وهاتان الكنيستان منفذتان في فسيفساء الحنية مع وجود طائر الفينكي خلف كل واحد منها، وتحت هاتين الكنيستين توجد أنهار الجنة الأربعة وهي: الفرات «EUFARTHC»، ودجلة (TIGRÏC) وجيحون «GEWN»، والرابع هو نهر (FICWN)، ولعل المقصود به هو نهر سيحون. وتوجد في أسفل هذا المنظر كتابة يونانية من خمسة أسطر، تشير إلى أن ألكساندرا قد نذرت هي وأفراد عائلتها هذا الجزء من الفسيفساء.

وفي أعلى هذا المنظر يوجد نص كتابي يوناني يشير إلى تاريخ رصف هذه الفسيفساء وهو عام ٧٥٤ سلوقية كما ذكرنا آنفاً.

هذه الفسيفساء ذات غنى كبير بزخارفها، ففي المجاز نرى الكنائس فضلاً عن الطيور والأسماك، والزخارف النباتية والهندسية.

وكذلك نشاهد في فسيفساء الرواق الجنوبي انواعاً عديدة وجميلة من الزخارف، فهناك مناظر لحيوانات برية كثيرة، منها غزالان يطاردهما فهد، وقد نفرا امامه، فضلاً عن طيور منوعة ضمن أوراق الأكانت.

وهناك مناظر مشابهة في فسيفساء الرواق الشمالي فضلاً عن عناصر اخرى، اذكر منها على سبيل المثال منظر قافلة تتكون من مركبة يحملها بغلان شديدان، وهذه القافلة لها شبيه في فسيفساء الكنيسة الصغرى بحورته (كنيسة ميخائيل) المعروضة حالياً بمتحف أفاميا.

صور جنائزية من العصر الروماني في سورية الوسطى
نقوش قبر الحباشي في حماة

كلاوس فرايبرغر
(معهد الآثار الالماني - دمشق، سورية)

يعتبر القبر ذو الرقم (٢٩) الذي عثر عليه تحت المنزل العائد للسيد أحمد الحباشي أكبر القبور ذات الغرف وأكثرها فخامة في حماة، ويضم تمثالين وستة تماثيل نصفية من الحجر الكلسي الأبيض، وقد وضعت هذه التماثيل في كوى مغطاة بقبوات فوق المعازب في الغرفة رقم (١) من القبر، وهي تعود جميعاً إلى القرن الثاني الميلادي، وتعتبر نماذج معبرة على التبادل الثقافي في المنطقة خلال العصر الروماني، ويمكن نسبة بعض الأساليب المستخدمة في تزيين التماثيل كنموذج الشعر والقميص ذي الأكمام القصيرة والمشلح الإغريقي وشكل الجذع إلى الأسلوب الروماني، أما بعض التفاصيل الأخرى كثنيات العمامة، والخمار على الرأس، وكبر العيون الملحوظ، فإنها تتبع الأساليب العامة في التماثيل الجنائزية في سورية وفلسطين، وبملاحظة الشكل العام والاحجار الكلسية المحلية، فإنه يمكن نسبة التماثيل في هذا القبر إلى الصناع المحليين.

يعود نموذجا قناع الموت، المصبوبان من الجبصين والمربوطان إلى صفائح المعازب الخشبية إلى أوائل القرن الثاني الميلادي كالتماثيل تماماً، وبذلك يمكن نسبة القبر إلى عائلة دفن أفرادها في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي.

لقد أراد أصحاب القبر إظهار أنفسهم كعائلة رفيعة المستوى في العالم الروماني والمتوسطي، فالتماثيل لا تظهر ملامح الميت الحقيقية بل تظهر ملامح المركز العالي لهؤلاء الأشخاص الذين كانوا مواطنين من ذوي الثقافة العالية في العالم الإغريقي - الروماني، ويظهر ذلك واضحاً على التماثيل المؤنثة في القبر، فالثياب فخمة ولا سيما العباءة التي ترتفع حتى أعلى الرأس من الخلف، والشعر مزين بكثافة مما يدل على أن السيدة المتوفاة كانت كاهنة، وتوضح وظيفتها تلك أهمية المستوى الرفيع في هذه المنطقة خلال العصر الإمبراطوري.

معبد مترا في حورته

ميشيل غافليكوفسكي
(جامعة وارسو، بولونيا)

ادى الإكتشاف المفاجئ لرسومات جدارية تحت كنيسة حورته البيزنطية إلى تشكيل بعثة تنقيب بولونية ولحساب المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية عامي ١٩٩٨ و١٩٩٩.

خلال القرن الرابع، تم تجهيز قاعة اجتماعات تحت الأرض في كهف لعبادة مترا، وفي هذا العام تم اكتشاف غرفة تابعة لها، ولقد كانت كلتا الغرفتين مغطاة برسومات ملونة، تمثل مشاهد متعلقة بعبادة الإله.

يعد معبد مترا في حورته الثاني الذي عثر عليه في سورية (بعد دورا أوروبوس)، وأحد المعابد الخمسة في العالم التي احتفظت برسوماتها الجدارية. ولأول مرة في فن التصوير، يظهر عدد كبير من المشاهد غير المنشورة، خاصةً منها الرسومات التي تمثل شياطين صارعتها مترا.

دُمر معبد مترا في نهاية القرن الرابع، وأنشئت عليه كنيسة، ويجب أن يتضمن عرض هذا الموقع للجمهور مكاناً محمياً للحفاظ على الرسومات التي هي الآن قيد الصيانة.

الكتلة الكلسية في فترة الإضطرابات
المعارك المسيحية والتراجع الاقتصادي

باسيل عكولة
(كلية فرنسا، فرنسا)

يبدو تاريخ الكتلة الكلسية واضحاً عبر الزمن، وتعود أقدم آثارها الى القرن الأول الميلادي، اي خلال فترة الاحتلال الروماني، ولا يظهر تأثير الفتوحات العربية في بداية القرن السابع الميلادي على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لهذه المنطقة الواقعة بين الجزء الشمالي لسورية، وبلاد ما بين النهرين الفارسية والرومانية، والساحل المتوسطي، ومنفذ حمص (ايميسا Emèse) عن طريق حماة (أفاميا)، ويفسر الاحتلال الروماني للساحل الإنطاكي والأهمية التي اتخذتها أنطاكية انفتاح هذه الكتلة، وقد غيّرت المسيحية بعد ذلك مظهر الكتلة، ولكن ذلك لم يحدث بدون دعم الملكية خلال انطلاقها، وتواصل هذا التطور بدون انقطاع حتى النصف الأول للقرن السادس الميلادي، ثم بدأ التراجع الاقتصادي الذي تلاه هجر المنطقة، ولقد تمت دراسات مهمة حول مسألة اقتصاد الكتلة وهجرها، فتم اقتراح مجموعة أسباب، كلها مقبولة، لتفسير آليات حدوثها، وسوف نخصص محاضرتنا لدراسة العامل الذي يبدو لنا حاسماً، ويتمثل في دور الدير في الانطلاق والتراجع الاقتصادي الذي تلاه الهجر. وبين منشور ميلانو في سنة ٣١٣م والنصف الأول للقرن السادس، عرف المذهب النسطوري (افيس ٤٣١) ومذهب الطبيعة الواحدة، (451 Chalcédoine) اللذان هزا الكنيسة السورية ونزعتها الملكية (رأس حربة معاركها المسيحية)، هذه الظواهر، ولقد انضمت الجزيرة (مقر النزعة الملكية السورية)، التي كانت تمون جزئياً أديرة أفاميا، بسرعة الى هذه المعارك. فاندلعت معركة ضارية ضد بيزنطة، وتدخلت الاتجاهات السياسية في المواقف العقائدية لهز هذه الكنيسة، فوقف وجهاً لوجه الهلنيستيون والسوريون الهلنيستيون والاهالي الذين شكل اغلبهم أفواج الأرثودوكسية السريانية. ومع سيفير Sévère انطاكية، وهو رجل دين خبير وبطريرك أنطاكية من غير مذهب الطبيعة الواحدة (٥١٢م)، تم الانفصال وإقامة بطركية أنطاكية من غير مذهب الطبيعة الواحدة في الوقت نفسه.

إنها هذه المرحلة الحساسة والأساس للكنيسة السورية، وبخاصة بطركية انطاكية وانعكاساتها على سكان الكتلة الكلسية التي ستكون محور محاضرتنا، ورغم أن النقوش النادرة وغالباً غير الكاملة لا تسمح باستخراج معلومات عديدة حول هذا الموضوع، إلاّ أن استعمال اللغة السريانية، ومحتوى بعض النصوص المنقوشة المقروءة والمفسرة على ضوء التأريخات السريانية، تستطيع أن توضح هذه المسألة بعمق.

التنقيبات في الأندرين/أندرونا

كريستين شتروبه وماريا مانغو
(جامعة هايدلبرغ، ألمانيا - جامعة أكسفورد، انجلترا)

تقع الأندرين، أندرونا الرومانية البيزنطية المبكرة، على بعد ٦٠ كم شمال شرقي مدينة حماة، وذكرت في خط سير Intinerarium Antonini في القرن الثالث الميلادي كموقع ريفي على طريق تدمر - سريانا - كالسيس، وعرفت على أنها كوم أو تل، وهي تتراوح مابين المدينة والقرية طبقاً لكتابة على قطعة فسيفساء سورية ظهرت في سوق التحف الأثرية في بيروت عام ١٩٨٠، ويعود الذكر الأخير لهذه المدينة إلى ياقوت الحموي عام ١٢٢٥ ميلادية.

تحتل أندرونا موقعاً يقارب ١,٦ كم، يحيط به سوران مستديران، فيه على الأرجح، شارعان رئيسان وإحدى عشرة كنيسة وحصناً عسكرياً ضخماً kastron وحماماً عاماً Loutron في مركزه، بالإضافة إلى بعض الأبنية العامة الهامة وعدد كبير من المنازل، وأربعة خزانات ضخمة في أطراف (ضواحي) الموقع. وليس لأندرونا مظهر المدينة رغم وجود بعض المظاهر العمرانية المهمة التي تحدد ماهية العلاقة بين المدينة والقرية في الفترات القديمة.

يعود البحث الأثري الأول في أندرونا إلى عام ١٩٠٥ حيث قامت بذلك بعثة جامعة برينستون Princeton الأثرية بإشراف س.هـ. بلتر C.H. Bulter الذي يمكن استكمال مخططاته الأولى للموقع، بما في ذلك رسومات الأبنية الرئيسة في بعض أجزائها، بواسطة الصور الجوية التي قام بها كل من ر. موتيرد R. Mouterde وأ. بودبار A. Poidebard في الفترة الواقعة مابين عامي ٣٨-١٩٣٩ إضافة لعملية المسح الهامة التي تمت ضمن مشروع حدود كالسيس Le Limes de chalcis. لقد تم تنظيم العمل الحالي في الأندرين عام ١٩٩٧ كتعاون دولي بين فريق سوري بإشراف ع. زقزوق، حماة. وبعثة ألمانية من جامعة هايدلبرغ برئاسة ك. شتروبه Ch. Strube وفريق بريطاني من جامعة أوكسفورد برئاسة م. مانغو M. Mango، وبدأ العمل عام ١٩٩٧ مترافقاً مع عملية مسح استكشافية مفصلة للموقع من قبل الفريق الألماني، ثم بدأ موسم الحفريات الأول لجميع الفرق عام ١٩٩٨.

لقد كانت الأهداف الرئيسة للمشروع كالتالي:

١ـ وضع تصور لتطور الموقع ابتداءً من الفترة الرومانية وحتى الأزمنة البيزنطية المبكرة، ووضعه في الأزمنة الإسلامية المبكرة.

٢ـ إيضاح شكل الأبنية العامة الرئيسة ودورها وبعض المظاهر الهامة لأندرونا (التل).

٣ـ وضع تصور للموقع العسكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي لأندرونا كجزء من النظام الدفاعي (نظام التحصين) في سورية الوسطى وكمركز زراعي هام.

• وقد بدأت حملة التنقيب عام ١٩٩٨ في مركز الموقع حيث تركز عمل الفريق الألماني على الحصن kastron ، بينما بدأ الفريق البريطاني التنقيب في الحمّام، وربما كان ممول كل من الحمام والحصن شخص واحد يدعى توماس، وقد يكون هو الشخص نفسه الذي أتى ذكره في الكتابة على الفسيفساء المذكورة آنفاً أيضاً، وهو واحد من ثلاثة أبناء لأورانيوس، المدافع عن حقوق الشعب في أندرونا، وقد أُرّخ الحصن في عام ٥٥٩ ـ ٥٥٨م، في حين بني الحمام في الوقت نفسه تقريباً أو بعد عدة سنوات لاحقة. وقد طرحت بعض الأسئلة حول عدة أمور تتعلق بالتنقيب في الحصن والحمام حول :

١ ـ موقع الشارع الشمالي الجنوبي وشكله.

٢ ـ إمدادات الحمام والحصن بالماء.

٣ ـ هوية البناء العام الموجود جنوب الحصن وشرقي الكاتدرائية.

وتتميز دراسة الحصن بشكل رئيس بأهمية كبيرة لسببين رئيسين هما:

١ ـ وجود بعض الدلائل التي تشير إلى وجود شكل مشابه لبناء القرن السادس في المكان نفسه، ربما كان حصناً للموقع الريفي لأندرونا الرومانية.

٢ ـ حتى الآن لم تتم دراسة أي من الشكنات الكبيرة الموثقة في برنامج حاميات كالسيس بشكل مفصل أو التنقيب فيها لذلك فإن معرفتنا قليلة حول دورها وتنظيمها العمراني.

ولقد كانت نتائج حملتنا الأولى للتنقيب في الحصن غنية بالمعلومات المفيدة، فمخططات بلتر يجب أن تعدل في بعض نقاطها الأساس مثل:

أبواب الجوانب الشمالية والجنوبية والغربية محاطة بأبراج من ثلاثة طوابق (أبواب محصنة)، وقد اتصلت الأبراج بطريق منحدر (رامب) في الجانب الغربي، أما اللقى (البقايا) التي وجدت في الطبقات المختلفة للأبراج فقد كانت غريبة نوعاً ما مثل أجزاء من الرخام

السماقي الأحمر، العديد من البلاطات من الحجر الكلسي، وأجزاء مقطعة *opus sectile* . وهي تذكر بالقطع المكتشفة في كنيسة قصر ابن وردان، كما يتميز أحد الأبراج في الجانب الجنوبي حيث وجدت في الطابق الأرضي بقايا رسوم جدارية زخرفية مشابهة للأشكال السائدة في العصر الأموي المبكر بشكله، وتثبت دراسة فن العمارة ولقى الخزف والزجاج بأنه قد تمت إعادة استخدام الحصن فيما بعد في القرنين السابع والثامن. هذا وسيتركز عملنا على تنقيب وحفر غرف مزدوجة الطبقات في الأجزاء الشمالية والغربية من الحصن.

تعود أهمية دراسة الحمام Loutron للأسباب التالية:

١ ـ الصلة الوثيقة بينه وبين الحصن المقابل (الممول العام. ... الخ).
٢ ـ الندرة النسبية لعمارة الحمامات مقارنة مع الكنائس في الفترات الزمنية القديمة.
٣ ـ الأهمية العظمى لوجود الحمام في مدينة غير رئيسة.
٤ ـ احتمال وجود حمام أكثر تعقيداً من الناحية المعمارية في أندرونا مقارنة مع الحمامات الريفية.
٥ ـ إمدادات المياه في منطقة صحراوية ـ سهبية.

لقد كانت نتائج حفريات الموسم الأول للحمام غنية جداً بالمعلومات، ففي البداية لم يكن مرئياً فوق سطح الأرض سوى جزء صغير من الحمام، أما الآن فقد كشفنا السويات العليا لمعظم البناء المكون من أربعة أقسام رئيسة هي:

١ ـ باحة المدخل في الجهة الشرقية.
٢ ـ البراني (البارد) في الجهة الشمالية.
٣ـ الوسطاني (الفاتر) والجواني (الحار) في الجهة الجنوبية.
٤ ـ منطقة الخدمة في الجهة الغربية.

وقد تم الكشف عن عناصر زخرفية عبارة عن كمية كبيرة من رخام للإكساء، وقطع رصف الأرضيات من أجزاء مقطعة، وجدار من الفسيفساء بالإضافة إلى أرضية من الفسيفساء أيضاً، ورسوم جدارية بأشكال إنسانية، وقد أثبتت كمية كبيرة من الفخار أنها كانت أجزاء من نظام لرفع المياه على شكل ساقية Saqquia من بئر، بالإضافة إلى غطاء احتل جزءاً من القسم الغربي من الحمام، كما تم العثور على وعاء مكتمل قائم بجانب مدخل الحمام وقد احتوى على قطع عملة نحاسية تعود إلى القرن السادس الميلادي، أما ما يمكن أن يكون أموياً فقد كشف جزئياً فيما بعد شرقي الموقع. وبالنسبة لإمداد الموقع بالمياه فقد درس الخزان

الجنوبي الشرقي، وهو مطابق لذلك الذي وجد أصلاً في الجزء الشمالي الغربي من الموقع، وقد حسبت سعة كل منهما، وتم تتبع القنوات الموصلة لها.

وسنتابع عمليات الحفر في هذا العام ١٩٩٩ حتى نصل إلى السوية الأرضية للحمام، ونقوم بدراسة منطقة الخدمة على وجه الخصوص، إضافة إلى متابعة فحص ودراسة الخزانات وقنواتها، والبدء في البحث والدراسة حول النتاج الزراعي في هذا الموقع.

الإنارة العامة في أفاميا في الفترة البيزنطية

ويلفريد فان رينغن
(جامعة بروكسل، بلجيكا)

في عام ١٩٧٩، واثناء التنقيبات التي قامت بها البعثة البلجيكية في افاميا، تم العثور على أجزاء من كتابة كبيرة في غرفة ملاصقة لمعبد حوريات الماء المركزي الواقع عند تقاطع الدوكومانوس مع شارع الأعمدة الرئيس. لقد أمكن تركيب أربع عشرة كسرة كانت إحداها من الكبر بحيث ضمت خمس وعشرين نهاية سطر، أما الكسر الأخرى فتعذر ربطها معاً، كما لم تكن تحمل سوى بضعة كلمات، وتعود للجزء الأيسر أكثر مما تعود للجزء الأوسط أو الأيمن، ويبدو أن الكتابة كانت فخمة، وقد سهل مهمة قراءة الكتابة أنها كانت مطلية باللونين الأحمر والأخضر، وأن تناوب هذين اللونين بين الأسطر المختلفة لم يكن متناظراً.

تتحدث الكتابة التي فقدت أجزاء كبيرة منها عن الإنارة العامة في افاميا، وقد تم ذكر κανδηλαι ημερησιαι بعلاقة مع δημοσιοι ιοποι της πολεως، و απανιηιηριον، والمسرح والبازيليك على الأغلب. ولا يوجد العديد من المصادر القديمة حول إنارة المدن في الفترة البيزنطية، ولا يمكن أن نذكر سوى الكتابة من أركادياني إفيس (Arkadiané d'Ephese) كمثال مشابه.

كالسيس القديمة

غلين باورسوك
(معهد الدراسات المتقدمة، الولايات المتحدة الأمريكية)

أكّد بودبار Poidebard على الأهمية الاستراتيجية لموقع كالسيس (قنسرين) من خلال كتابه الهام «Le Limes de Chalcis» عام ١٩٤٥، لكن هذه الأهميّة ليست سوى جزء صغير من الدور الهام لهذه المدينة في تاريخ سورية القديمة، ويبدو أن آراء بودبار تحتاج للمراجعة بما يتوافق مع نتائج الأعمال في العقود الأخيرة في نظام الحاميات الروماني، فقد بقيت علاقة مدينة كالسيس مع إقليمها ومع المدن الهامة في المنطقة مثل حلب وأناسارثا Anasartha بحاجة للتحديد والوصف، علاوة على ذلك يجب دراسة العديد من النصوص المهملة وخاصة حياة رابولا السرياني، والنقش على عتبة الباب العليا الكبيرة في أناسارثا (خناصر Khanâsir)، والمخطوطة IGLS.288، ومخطوطات كالسيس ذات الرقم IGLS.,348 349، وقد سمح عمل والد رابولا Rabbula، الذي كان كاهناً وثنياً، بالتعرف على الدين الإمبراطوري في حلب في زمن حملة جوليان على الفرس، وكان لدى عائلة رابولا ممتلكات خارج المدينة، بحيث يمكن لمشاهدات وتعليقات جيروم عن محيط الصحراء تزويدنا بتفاصيل حياة هذه العائلة الغنيّة، كما يمكن ملاحظة وفهم طبيعة الديانة المسيحيّة في تلك المنطقة عبر نسب رابولا المختلط من أب وثني وأم مسيحية بالإضافة إلى نص أناسارثا الذي يمجّد كلاً من يسوع المسيح والأباطرة الرمان وحاكم العسكر The Praefecti Praetorio والأسقف المحلي، ولقد جسّدت لوحة الفسيفساء المحفوظة حالياً في متحف معرة النعمان حضارة تلك المنطقة، ويؤكد استمرار وجود المواضيع الوثنية في البيئة المسيحية على التأثر الكبير بالأدب والنقوش القديمة.

تاريخ حاضر قنسرين في العصور البيزنطية المتأخرة والإسلامية المبكرة

كلاوس بيتر هازه
(معهد كارستن نيبور، الدانمارك)

عرفت قنسرين في العربية والسريانية كواحدة من المقاطعات (جند) الإسلامية المبكرة في سورية وعاصمتها، وهي مهمة كمثال على استمرار مدينة ريفية قديمة وتحولها إلى مقر إقامة للبدو العرب ثم إلى مركز أموي عسكري وإداري إقليمي . وتتميز مدينة كالسيس، كما عرفت في الفترة الرومانية والبيزنطية، بقلعتها المقامة على تل وبعض البقايا المعمارية غير المسجلة في المدينة السفلى كالسور الذي كان لايزال مرئياً في القرن الماضي، ونجد بين اللقى السطحية في موقع قرية النبي عيسى، الواقعة على بعد حوالي ٢٨كم جنوب شرقي حلب، القليل من الأدوات الإسلامية ضمن مجموعتين، الأولى حول الضريح الواقع غرب القلعة، والثانية، وأغلبها أيوبية، إلى الشمال قرب التلال، وهو ما لا يتناسب مع المصادر التاريخية، مما يجعل من المتعذر تحديد موقع أموي هام في هذه المنطقة، ولكن، وعلى بعد ٤كم فقط باتجاه الشرق عبر نهر قويق وحول قرية الحاضر الحالية تحت تل آخر يعود لعصر البرونز، تم العثور على كسر إسلامية في أغلبها بكميات كبيرة (انظر بحث وايتكومب) ويبدو منطقياً إذاً مطابقة عاصمة المقاطعة الإسلامية (جند) مع « حاضر قنسرين » ونقل السجلات الإسلامية إلى هذه المنطقة لقد بقيت قنسرين / كالسيس قرية مسيحية صغيرة حتى القرنين التاسع والعاشر، وذلك بدلالة قوائم الأساقفة، وبدلالة جملة لابن العديم يذكر فيها أنها تعود لأحد شيوخ بني تنوخ، وقد تضاءلت أهمية حاضر قنسرين وبقيت قرية صغيرة، وهجرت كلياً أحياناً .

لقد تمت تقوية قنسرين كأبعد المقاطعات في سورية وفلسطين، إما بعد وصول معاوية إلى الخلافة عام (٤١ـ٤٢هـ / ١ـ٦٦٢م)، أو على يد يزيد الأول حوالي عام (٦٨١م)، وبينما ظلت المدينة القديمة عاصمة ريفية في الفترة البيزنطية، تم إلحاق الحي العسكري

ومجموعة مناطق القبائل البدوية بعاصمة حديدة، وقد ذكرها المؤرخ المتأخر ابن العديم وحده تحت تعبير «مصر»، في حين ذكرتها المصادر الأخرى تحت تعبير «مدينة»، ويبدو أن ملامحها كانت ملامح مدينة عربية: تجمعات متباعدة يجمعها معسكر واحد، وقد ضمت مسجداً منذ أن حكمها ظفر بن الحارث من بني كلاب.

لقد تميز حاضر / قنسرين، بوجود مناطق للبدو حول المدينة، واحدة من مجموعة تجمعات في المنطقة الواقعة بين حلب وكالسيس / قنسرين، وقد طرقتها القبائل البدوية المختلفة خلال الفترة البيزنطية كما يذكر المؤرخون العرب، منها فروع لبني تنوخ منذ النصف الثاني من القرن السادس على الأقل، وبني صالح الذين ظهر منهم رئيس قبيلة بيزنطي هو الضيزن بن معاوية في القرن السادس الهجري، كما وصلت بعض فروع بني طي في الفترة ما قبل الإسلامية، وقد انشأت حاضراً خاصاً بها أو تطاولت على بني تنوخ. وبعد الفتوحات الإسلامية، بقيت أراضي بني تنوخ في أيديهم بشرط دخولهم في الإسلام، وقد ذكرت بعض العائلات من قبائل العرب الجنوبية في المنطقة وفي حاضر حلب، كما كان لبعض العائلات العباسية بيوت في حاضر قنسرين، ولكن لم تأت أي من المصادر على ذكر قبائل العرب الشمالية (القيسية).

إذا أضفنا المنطقة موضوع الدراسة للمواقع البدوية شمالي حلب وحول منبج، نلاحظ وجود حزام من ريف قبلي شرقي في سورية قد يكون قد أثر على السياسة خلال الدولة الأموية الناشئة، ولا يمكن معرفة الدور البدوي بسهولة، إذ لا يمكن الحصول إلا على بعض المعلومات المتناثرة في أخبار العائلات والبيوتات في المصادر التاريخية.

حاضر قنسرين ١٩٩٨
الموسم الأول للبحث الأثري

دونالد وايتكومب وفدوى عبيدو
(جامعة شيكاغو، الولايات المتحدة الأمريكية – المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

تم تقسيم سورية إدارياً بعد الفتح الإسلامي إلى خمس مقاطعات دعيت بالجند، وقد تم تأسيسها في المراكز العمرانية كحمص ودمشق وطبريا، ثم تم تقسيم الجند الشمالي في حمص بعد إحداث مركز جديد، وهذا المركز لم يتم تأسيسه في مدينة حلب القديمة (بيرويا الكلاسيكية) بل في مركز عمراني جديد في قنسرين على بعد حوالي ٢٥ كم إلى الجنوب.

يرتبط موقع قنسرين بتل مجاور هو مدينة كالسيس اد بيلوم Chalcis ad Belum الكلاسيكية، وهي مستوطنة سلوقية على الأغلب، وقد قام بروس (Brosse) عام ١٩١٩ ثم ج. لوفريه (J. Lauffray) عام ١٩٤٢-٤١، بإعداد المخططات للبقايا المعمارية الخاصة بقلعتها ومدينتها السفلية، وعلى الرغم من عدم وجود شك بصحة المطابقة الفرنسية للموقع مع موقع كالسيس الكلاسيكي، إلا أن استمرار هذا الموقع في الفترة الإسلامية المبكرة باسم قنسرين كعاصمة جند مازال أقل تأكيداً، وحديث الدراسة، إذ يبدو أن يزيد بنى مدينة إسلامية جديدة أو مصراً، عام ٦٨٠م (Whitcomb n.d,1994)، وقد بدأ المشروع بمجموعة من الفرضيات بأن هذه المدينة الإسلامية الجديدة قد بنيت فوق حاضر أقدم كان معسكراً لبني تنوخ وطي (Haase,1972, 1983)، وتعتبر المدينة الحالية في حاضر قنسرين استمراراً للمدينة الإسلامية المبكرة، وقد تظهر في أساساتها بقايا المعسكر العربي والمركز الإداري لعاصمة الجند.

حاضر قنسرين:

كان الموسم الأول للبحث الأثري مشروعاً مشتركاً بين جامعة باريس الرابعة (السوربون) والمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو مع المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية، وكان العمل الميداني تحت إدارة البروفسورة ماريان باروكان والبروفسور كلاوس بيتر هازه ود.

دونالد وايكومب، كما كانت المديرية العامة للآثار السورية ممثلة بالآنسة فدوى عبيدو من دائرة آثار حلب. لقد تضمن العمل الأولي في حاضر قنسرين مسحاً أو إعادة تعرف على اللقى السطحية الدالة على مدى اتساع الموقع في بلدة الحاضر الحالية وحولها، إذ لم تصل اعمال ماثرز (Matthers) في قويق إلى هذا البعد إلى الجنوب (١٩٨١). يعود القسم الجنوبي من تل الحاضر إلى عصر البرونز، أما الكسر الإسلامية فقد وجدت في الأطراف الغربية والشمالية، وقد تم تحديد مسافة ٢كم باتجاه شمال ـ جنوب، ونصفها باتجاه شرق ـ غرب، وتضمن الجزء الثاني من العمل الميداني حفريات محدودة في موقعين، في المنطقتين(L,K) على الطرف الشمالي الغربي للبلدة، وقد أظهرت كلتا الحفريتين نتائج متناسبة مع الاستيطان المفترض، إذ ظهرت عناصر معمارية من الآجر بعمق تراكمي يصل حتى ٢م على الاقل، كما يدل الخزف والنقود على استيطان أولي في الفترة البيزنطية المتأخرة والفترة الانتقالية البيزنطية / الإسلامية المبكرة، تبعته مرحلة ثانية من الاستيطان في الفترة العباسية المبكرة، في فترة ماقبل السامرائي، ولا يوجد أية آثار للقرن العاشر أو ما بعده في المناطق المنقبة، وقد دلت المباني في المنطقة (K) على هاتين الفترتين، وهي متناسبة مع المخطط المعتاد للخيام العربية ذات الأساسات الآجرية والحجرية.

يستطيع الباحث أن يتتبع، خلال هذين القرنين (٦٥٠ـ٨٥٠م)، تشكل مدينة إسلامية مبكرة، وسيعطي المخطط الموثق مدينة إسلامية هامة (مصر) وتطورها من حاضر في الفترة ما قبل الإسلامية، وهو شكل عمراني عربي أولي، فإذا أثبتت هذه الفرضية صحتها، فقد تظهر البقايا الأثرية في حاضر قنسرين موقع استيطان عربي أولي قرب كالسيس وعملية التطور العمراني في الفترة الإسلامية المبكرة.

الحالة في حمص عشية سقوط الدولة الأموية

صالح الحمارنة
(الجامعة الأردنية)

في التمهيد لهذه الدراسة، نتكلم بسطور قليلة عن أهمية مدينة حمص من النواحي التالية: الإقتصادية والتجارية، وعن موقعها، وتتعرض الدراسة بالحديث عن التركيبة السكانية لأهل حمص في هذه الفترة، وكيف أن سكانها العرب قبل الإسلام، قد سعوا حتى لا يبقوا في الدرجة الثانية دون العرب الذين دخلوا المدينة مع الفتح الإسلامي. وتمس الدراسة الإقبال الواسع على امتلاك الأرض لدى أشراف العرب مع نهاية فترة صدر الإسلام، فكان أهل حمص، بجانب أهل دمشق، من أكثر الأهالي توسعاً في امتلاك الأراضي والضياع والانتشار في القرى وتكوين الإقطاعات الخاصة.

كما وتتعرض الدراسة للحديث عما عرف «بالفتنة الثالثة» في الإسلام، هذه الفتنة التي عمّت الديار الشامية ـ بشكل خاص ـ بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد، والتي سارعت بسقوط الدولة الأموية ومهدت لقيام دولة بني العباس.

وتركز الدراسة على موقف أهل حمص من هذه الأحداث الجسام، فمثلاً تحاول الدراسة أن تجيب على سؤال هام هو: لماذا وقف أهل حمص ضد الخليفة يزيد بن الوليد ـ يزيد الثالث؟ هل بسبب مساندة اليمانية له ـ والمفارقة هنا أن جل أهل حمص من أصول يمنية، أم لميول يزيد الثالث للقدرية وحماسته لهذا المذهب، ثم تطرح التساؤل الثاني، ماعمق العلاقة مابين يزيد الثالث والقدرية؟ وهل القدرية قد استغلت حنق يزيد الثالث على الوليد الثاني، فوظفت هذا السخط لصالحها أم العكس!

بل وتذهب الدراسة للتساؤل عن مدى تغلغل الأفكار القدرية ـ وغيرها من المذاهب ـ في أرض الإسلام، وفي الشام والعراق وخراسان على الخصوص، وعن مدى شمولية هذه الأفكار وانتشارها، وتبحث الدراسة في هل من قاسم مشترك مابين مختلف الحركات ـ وهي

كثيرة ـ التي ظهرت على الساحة السياسية ـ الإجتماعية، في أواخر العصر الأموي: خلا مخالفتها للحكم الأموي نفسه؟ ثم هل حركة يزيد الثالث بالشام تكوّن امتداداً لحركة الحارث بن سريج والتي قامت قبلها في بلاد ماوراء النهر وفي خراسان، ثم هل الدعوة العباسية وشعاراتها ـ لابل الثورة العباسية ـ تعتبر تتويجاً لهذه الحركات التي سبقتها؟

كما وتسترسل الدراسة في الحديث عن صدى حركات أخرى قد قامت على مساحة أرض الخلافة الإسلامية، وفي الختام تتعرض الدراسة لموقف مدينة حمص ـ مع غيرها من مدن الشام ـ في صد مروان بن محمد الخامس لمعركة الزاب، وكيف وقفت المدن الشامية تصرخ في وجهه: يا جعدي يا معثّل، ناهيك بأن حمص مع غيرها من المدن الشامية قد بُيضت في إشارة على مقاومتها للحكم العباسي الجديد.

وتخرج الدراسة ببعض الإستنتاجات: منها أن موقف مجموعة القبيلة الواحدة لم يكن واحداً في مختلف الأمصار، لابل كان لكل مصر موقف خاص به ولمصلحته. ثم أن مجمل هذه الحركات التي عمّت العالم الإسلامي عشية قيام الدولة العباسية، إنما كانت في مجملها تعبيراً عن صعود قوى جديدة، قوى صاعدة، وفعّالة في المجتمع الإسلامي، تتكون من الفئات الوسطى من أبناء المجتمع تتمثل بالتجار والكتاب والعلماء والحرفيين وعموم ابناء المدن.

حماة في العهد الحمداني والمرداسي

محمد قجة

(جمعية العاديات، سورية)

يمتد العهد الحمداني ومن بعده العهد المرداسي قرابة القرن ونصف القرن، وكانت « حماة » ومنطقتها جزءاً من الدولة الحمدانية ثم جزءاً من الدولة المرداسية، وللحديث عن تلك الفترة ووضع مدينة حماة في سياقها يمكننا تحديد الإطار التالي للموضوع :

١ـ القوى الدولية المتصارعة في المنطقة، وما رافق ذلك الصراع من مد وجزر لتلك القوى. وهذه القوى هي :

أ ـ الدولة البيزنطية في الشمال، وعودة مطامعها ببلاد الشام.

ب ـ الدولة العباسية في بغداد، وما تعانيه من متاعب وضعف نفوذ انعكس على ولاياتها.

جـ ـ الإخشيديون في مصر، ثم الفاطميون من بعدهم، والصراع المستمر بينهم وبين القوى النافذة في بلاد الشام حول مناطق النفوذ في تلك البلاد.

د ـ ظهور السلاجقة في نهاية الفترة المرداسية كقوة دولية غيرت مسار الحوادث في المنطقة.

٢ـ القوى الإقليمية : وتتمثل تلك القوى بالسلطة الحمدانية في شمال بلاد الشام خلال القرن الرابع الهجري، ثم السلطة المرداسية خلال القرن الخامس، والصراع الذي خاضته كل من هاتين السلطتين مع القوى المختلفة شمالاً وجنوباً.

كما تتمثل تلك القوى الإقليمية بوجود القرامطة والخوارزمية والتركمان. ودور كل من هذه القوى في الميزان السياسي والعسكري في تلك الفترة.

٣ـ الصراعات المحلية التي لم تتوقف والمتمثلة بالنزاعات القبلية بين القبائل العربية، أو بين هذه القبائل وبين السلطة المحلية متمثلة بالدولة الحمدانية ثم بالدولة المرداسية، والفترة الفاطمية بين هاتين الدولتين.

وتبرز في هذه الفترة أسماء قبائل عربية كثيرة دخلت على خط الصراعات والولاءات المتباينة. ومن أبرز هذه القبائل:

كلب ـ كلاب ـ تغلب ـ نمير ـ عقيل ـ عوف ـ أسد ـ قشير ـ شيبان ـ تنوخ ـ خفاجة... الخ.

٤ـ التركيز على دور حماة وأفاميا وشيزر في صراعات هذه القوى، وانعكاس هذه الصراعات على حماة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وبشرياً.

٥ـ التحديد الدقيق بالسنين والأسماء للفترات المتلاحقة في حماة من حكم حمداني ومرداسي واحتلال بيزنطي، وخضوع للإخشيد أو الفاطميين، وما تعرضت له من غزوات قرمطية أو بدوية.

٦ـ تقويم عام لدور حماة في العهد الحمداني والمرداسي.

٧ـ عرض موجز لما خلفته تلك الفترة من آثار عمرانية واجتماعية.

تقي الدين عمر بن شاه
وقيام الحكم الأيوبي في حماة

إبراهيم محمود زعرور
(جامعة دمشق، سورية)

يُعد تقي الدين عمر بن شاهنشاه أحد أهم أركان البيت الأيوبي وقد لعب الدور الأكبر في تأسيس وتوطيد أركان الدولة الأيوبية وتوسيع الرقعة الجغرافية والتاريخية التي شغلتها، وكان هذا الرجل، تقي الدين، مبرزاً في الأدب، ومحبوباً من الأسرة الأيوبية، ومن القائد البطل صلاح الدين الأيوبي بالذات، كذلك الأمر من عامة الناس. هذه الدلالات ذات أهمية عامة وخاصة، فقد بدأ حياته العامة والعملية في مصر حيث شغل الدور البارز في فترة ولاية صلاح الدين الأيوبي عليها زمن نور الدين، وكان مرافقاً له في حله وترحاله وحربه وسلمه، وقد عينه والياً على الفيوم، وله فيها أعمال اتصفت بالخير والبر. لقد كان في اختيار تقي الدين لحماة الأسباب الوجيهة عند صلاح الدين، إذ عرف فيه الإخلاص والحنكة والدراية بعد أن تعلم ذلك كله في الأزمان والحروب، وقد اشتهر بحقده على الصليبين وزاد ذلك أيضاً فقده ابنه أحمد في قتالهم ومواجهتهم ووقوع ابنه الآخر شاهان في الأسر لديهم لمدة سبع سنين حتى افتداه صلاح الدين بمال كبير. وتولى تقي الدين ولاية حماة عام أربع وسبعين وخمسمائة وبدأ ترتيب أمور الولاية وفق مايراه مناسباً لموقع ولايته من تجنيد الجنود والحفاظ على استعداد قتالي رفيع المستوى لمواجهة الأعداء المحيطين به من كل حدب وصوب، وشارك تقي الدين والقوات العربية المصرية المسلمة والمرافقة له بالمعارك التي قام بها صلاح الدين ضد الصليبيين في الشام ونابلس وسبطية وجنين، وبقي ملازماً للسلطان صلاح الدين في حله وترحاله حتى أمره بالعودة مع عساكره إلى مصر في منتصف شعبان ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م. قدم تقي الدين إلى السلطان في دمشق، وقد أعاده لحماة ومنبج والمعرة وسائر أعمالها ثم أضاف إليه ميافارقين وجميع ماتبعها من معامل وجعله ملكاً.

العلاقات السياسية والعسكرية بين مملكتي حمص وحماة في العصر الأيوبي (٥٨٩-٦٢٢هـ - ١١٩٤- ١٢٦٣م)

منذر الحايك
(جامعة البعث، سورية)

مقدمة:

حمص عاصمة سورية الوسطى، تدمير الروم لحمص وتراجعها، ظهور حماة، عودة الأهمية لحمص مع حروب التحرير ضد الفرنجة. انقسام الشام بعد عهد صلاح الدين إلى ممالك مدن، وطبيعة العلاقات السياسية بينها.

١- الأسرة الأسدية في حمص: أبناء عم الأيوبيين. السياسة الهجومية لملوكهم، المواجهة مع مملكة حماة وأسبابها.

٢- الأسرة التقوية في حماة: سياسة دفاعية غالباً، وهجمات معاكسة احياناً. ميول عمرانية وحضارية.

آ- حمص وحماة: التجاذب والتنافر، البيئة الواحدة، الاقتصاد المشترك.

ب - العلاقات السياسية بين المدينتين:

١- الأحلاف السياسية: حمص ترتكز غالباً على دعم دمشق، حماة تعجز عن الإتكال على دعم حلب، سعي ملوك حمص بشكل دائم للتحالف مع حلب، وتحقيق نفوذ سياسي قوي في دمشق، سعي ملوك حماة للتحالف مع مصر.

٢- العلاقات السياسية: لم تنقطع بين البلدين، وساطة المجاهد لضم المظفر إلى تحالف ممالك الشام. ابن المقنشع الحموي رسول ملوك حمص.

٣- مؤتمر العوجا: دور المجاهد في المؤتمر ومقرراته، نزع سلمية من حماة وضمها إلى حمص، تولية المظفر على حماة.

ج ـ العلاقات العسكرية: الملك المجاهد يخوض حروبه في بلاد الآخرين، وإضعاف حماة هدفه الدائم. المجاهد والأفضل يحاصران حماة. هجوم المظفر والكامل على حمص. المظفر والخوارزمية يحاصرون حمص.

١ـ أيام بلا عداء: توحيد الجهود العسكرية لرد الفرنج عن دمياط، ومع الكامل في الهجوم على صاحب الروم. مقاومة حمص لهجوم المعظم على حماة.

٢ـ الصراع على سلمية: المجاهد مقدم جيوش التحالف يحاصر حماة، وملكها قليج أرسلان يستسلم له، المجاهد يبني قلعة في سلمية. تخريب سلمية ونقل سكانها إلى حمص.

٣ـ حرب المياه: قطع قناة سلمية عن حماة، قطع مياه العاصي عن حماة.

٤ـ خطة المظفر لإنقاذ دمشق من المجاهد: كشف المجاهد للخطة، وأسر مدبرها وزير حماة سيف الدين بن أبي علي. استخدام المجاهد لجيش حماة المعد للدفاع عن دمشق للهجوم عليها وأخذها. سجن وجهاء حماة بحمص.

٥ـ حقيقة ميل المظفر للفرنج: استعداده لتسليمهم حماة، واعتناق المسيحية، كيداً لصاحب حمص. روايات المصادر العربية، ورواية مصدر فرنجي.

د ـ السلام بين المدينتين:

عودة سلمية إلى حماة ما عدا قلعة شميميس، إطلاق الحمويين من سجون حمص، حلف الصالح أيوب مع المنصور محمد في حماة والمنصور إبراهيم في حمص. ابن قرناص الحموي وزيراً في حمص. سقوط حمص دون أن تتحرك حماة لنجدتها.

خاتمة:

الأشرف صاحب حمص نائباً للمغول على الشام. تحول مملكتي حمص وحماة إلى ولايتين مملوكيتين بعد طرد المغول.

أبو الفداء
صاحب حماة

وليد قنباز
(باحث، سورية)

في مدينة حماة (سورية) التي تُعَدُّ في أوليات المدن القديمة والتي يمتدُّ تاريخها الموثَّق أثرياً على مدى ثمانية آلاف عام، والتي شهدت كل الشعوب والحضارات التي تعاقبت في المنطقة منذ فجر التاريخ بدءاً من الأكاديين والعموريين، وحتى استقرار الإسلام في ربوعها... كان دخول السلطان «صلاح الدين الأيوبي» في رحابها عام /٥٧٠هـ-١١٧٥م/، ثم عهد إلى ابن اخيه «عمر بن شاهنشاه» بحكمها وحفظها بعد أربع سنوات، فتلقب بالملك المظفر، وألحق له صلاح الدين بمدينة حماة كلا من «منبج» و«ميافارقين» و«كفر طاب» و«اللاذقية» وغيرها، وبدأ بذلك حكم الأسرة الأيوبية لحماة والذي استمرَّ على مدى /١٦٨/ عاما... حكم في خلالها ثمانية ملوك (ستة - فائتان).

ولكن حادثاً وقع في عام /٦٩٨هـ-١٢٩٩م/ حين توفي الملك المظفر الثالث «محمود» سادس ملوك حماة من دون عَقِب واختلف أولاد عمه ولم يتَّفقوا على ترشيح أحدهم للمُلْك فخرج الحكم من أيدي الأيوبيين في حماة، وصار إلى نواب السلطنة المماليك.. واستطاع «إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي بن مروان» استرجاع الحكم إلى الأسرة الأيوبية بعد لأيٍ وفترات عصيبة حافلة....

فمن هو إسماعيل هذا؟!

إنه الملك المؤيَّدُ أبو الفداء الذي وُلِدَ في دمشق عام /٦٧٢هـ-١١٧٣م/ أميراً من سلالة الأيوبيين حينما جَفلتْ عائلته من حماة إثر إحاطة المغول بها... ورجع معها إلى المدينة بعد رحيلهم وهو في شهوره الأولى.

تأدب على علماء عصره، فبرع في العلوم اللسانية والدينية والفقه والتاريخ والجغرافيا والطب وعلم الهيئة والأدب والشعر... وكان بطلاً مقداماً قاتل المغول والصليبيين والأرمن

والأعراب الثائرين، ولقد خدم السلطان الناصر قلاوون عندما كان منفياً في الكرك، وبالغ في ذلك، فوعده بحماة إن رجع إلى الملك والسلطنة ووفى له بوعده في عام / ٧١٠هـ ـ ١٣١٠م/ وجعله ملكاً عليها يفعل فيها ما يشاء بلا مراقبة من مصر أوغيرها، ولما زاره أبو الفداء في القاهرة عام / ٧١٢هـ ـ ١٣١٢م/ بالغ في إكرامه، وأركبه بشعار المُلك، وأبهة السلطنة، ومشى الأمراء والناس في خدمته.

حكم مدينة حماة وملحقاتها / ٢٢/ عاما كان فيها الملك المحبوب المحمود الأثر، فهو مثال العلم والعدل والكرم والشجاعة والتواضع، وكان يقرب أهل العلم ويرتب لهم الجواري والأرزاق، فاجتمع منهم ببابه مالم يجتمع بباب غيره من الملوك والأمراء.

ألف كتباً نفيسة هي من أفضل مراجع التاريخ والجغرافيا والنحو، وعددها / ١١/ أحد عشر كتاباً والمطبوع منها حتى الآن /٣/ ثلاثة هي:

المختصر في أخبار البشر (في التاريخ) ـ تقويم البلدان (في الجغرافيا) ـ الكُنّاش (في النحو). وهناك ثمانية كتب ماتزال مخطوطة... ولقد نعمت أوربا بكتابيه المختصر والتقويم وكتب عنهما أكثر من /٤٣/ عالماً ومستشرقاً أوروبياً وعن شخصية صاحبهما وموسوعيته.

خلف آثاراً جليلة في عاصمة ملكه «حماة» أبرزها: جامعة (جامع أبي الفداء) ـ والجناح الشرقي من جامع النوري (الرَّوْشَنْ)، وأما المربع والقبة العليا والحمام فقد عفى عليها الزمن، وبقيت ناعورة «الدهشة» التي كانت تسقي القصر والحمام صورة عن الجمال والروعة والسحر التي كانت في هذه المنطقة التي دعاها أبو الفداء (الدُّهيشة).

وفي عام / ٧٣٢هـ ـ ١٣٣١م/ ختم أبو الفداء حياته في عاصمة مُلكه، ودفن في المدفن الذي شيده في مسجده الذي أمر ببنائه قبل خمس سنوات من وفاته، وما يزال ماثلاً وقائماً حتى الآن... وخلفه في الملك ابنه الملك الأفضل «محمد» وهو آخر الملوك الأيوبيين في حماة.

يعد أبو الفداء أفضل الملوك بعد المأمون، فلقد جمع الملك والعلم معاً إلى جانب بُعد نظر في السياسة، ونُبل في التصرفات، فكان أميراً في سلوكه، وملكاً قبل أن يصبح ملكاً، وصاحب شخصية فذة متميزة جعلته واحداً من أبرز الملوك الأيوبيين وعلماً من أعلامهم مما جعل الأستاذ الجليل «محمد كرد علي» يقول عندما وقف على قبره:

«ياثاني المأمون بعِلْمِكَ وعقلِكَ، وثاني صلاح الدين بعدلِكَ وجهادِكَ»...

ولا عجب إذاً حين تشرفت «حماة» عاصمة مُلكه بالانتساب إليه، وصارت تدعى على المدى «مدينة أبي الفداء».

الأمير تنكز الحسامي نائب الشام
في الفترة ٧١٦ـ٧٤١هـ /١٣١٢ـ١٣٤٠م

حياة ناصر الحجي
(جامعة الكويت، الكويت)

يتضمن التاريخ الإسلامي الكثير من الصفحات الغامضة التي لابد أن يعكف بعض الباحثين على تفحصها ودراستها للتوصل إلى الحقائق المتعلقة بهذه الحقبة أو تلك الفترة. وتعتبر نيابة الأمير المملوكي تنكز الحسامي، «نائب الشام في الفترة ٧١٢ـ ٧٤١هـ / ١٣١٢ـ ١٣٤٠م إحدى هذا الصفحات. ومن ثم رأينا أهمية التدقيق بحوادث هذا العهد وتأثيراته المختلفة.

وقد كان للتعاون المخلص بين السلطان الناصر محمد بن قلاون ونائبه الأمير تنكز الحسامي نتائج طيبة تظهر واضحة فيما حظيت به الشام خلال هذه الفترة من استقرار سياسي، وازدهار اقتصادي، وتفوق فكري، واستمر ذلك الوضع المطمئن طيلة اثنتين وثلاثين سنة إلا أن تدخل الكثير من العناصر الخارجية والأسباب الداخلية أدى إلى توتر العلاقة بين الناصر محمد ونائب الشام حتى انتهى ذلك بالقبض عليه وإعدامه.

وتكمن اهمية البحث في توضيح طبيعة العلاقة بين السلطان المملوكي ونوابه في الاقاليم المملوكية. وكذلك نوعية الشخصيات التي تولت مقاليد الشؤون الداخلية في الولايات المصرية والشامية في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، إلى جانب التركيز على هدف الجهاد الإسلامي وتأمين الحدود الشمالية والشرقية لسلطنة المماليك، علاوة على بيان أهمية السلامة الداخلية في البلاد، ومايترتب على ذلك من انتعاش أسباب التقدم الإقتصادي وأنشطته المختلفة، بالإضافة إلى توضيح موجز حول اهتمام الأمير تنكز الحسامي بمنزلة العلم والعلماء مما هيأ لظهور عوامل التفوق الفكري الديني والعلماني، مع العناية الواضحة بالنهضة العمرانية خاصة المراكز الدينية العديدة.

وهكذا أمكننا التوصل إلى جوهر السياسة المملوكية في الأقاليم المملوكية، وأثر ذلك على تطور الأوضاع الحضارية في مجالات السياسة والاقتصاد والفكر.

الاستيطان في الأطراف الجافة
(منطقة السلمية) خلال المرحلة الإسلامية

ماري أوديل روسيه
(المركز الفرنسي للآثار الشرقية، مصر)

يحاول برنامج «الأطراف الجافة» شرح وفهم نماذج الإعمار في منطقة تتميز بظروف طبيعية خاصة تجعل الإقامة البشرية فيها صعبة جداً، ومنذ عام ١٩٩٣ سمحت حملات المسح الاثري باكتشاف مئات المواقع (حوالي ٥٠٠ موقعاً) تؤكد وجود الإنسان في المنطقة الواقعة بين بحيرة الجبول وسفوح سلسلة الجبال التدمرية (خريطة السلمية)، وقد تمت عملية جمع منظم لكسر فخارية وصوانية، وبخاصة خلال المواسم الخريفية التي تمت بين عامي ١٩٩٥ و١٩٩٨. تختلف نماذج السكن بحسب المراحل في منطقة لا تزال حتى يومنا هذا تأوي مجموعات مستقرة، وأخرى بدوية، وثالثة نصف بدوية، وتوضح لنا نتائج البحث إقامة «على شكل مسنن» مع مراحل مميزة جداً وفراغات بارزة، ولقد عرفت المناطق الواقعة غرب المنطقة المدروسة إقامة أوسع، عكس المناطق الشرقية حيث لم نعثر فيها إلاّ على بعض المراحل. وتدل أسباب تنوع الإقامة (المناخية والتاريخية ...) في هذه المنطقة على التأقلم الكبير للإنسان في وسط صعب، يتطلب السيطرة عليه.

تُعتبر المرحلة البيزنطية الاكثر تمثيلاً في هذه المنطقة، فهي تزامن إقامة نظام زراعي - رعوي مميز. فوجود قنوات لري المنطقة الوسطى، وإقامة أماكن واسعة للزراعة والتدجين في منطقة جافة، وتوزيع الأراضي الذي بدأنا نتعرف عليه، يجعلنا نعتقد بوجود نظام جماعي متحضر ذي سلطة قوية، وعلاقة محدودة مع مدينة الأندرين.

تشير مراجع القرون الوسطى (المتنبي، ابن شداد، أبو الفداء، ياقوت، ...) إلى أماكن إقامة الأمويين والمدن والمحطات الواقعة على طريق دمشق - حلب ودمشق - الرصافة، وهي: السلمية، قسطل، اسريا/ سريانا، عين الزرقة وخناصر. ومع ذلك تزودنا الأعمال الميدانية بمعلومات إضافية حول الإقامة في المنطقة خلال تلك الفترة، وتبين استمرار جانب من الاستيطان

البيزنطي، فقد أُقيمت هذه المواقع في كامل المنطقة بجوار أماكن مناسبة للزراعة كأطراف السهول أو قرب القنوات، وخلال الفترة الإسلامية حدث انقطاع في الإقامة عدا المواقع الكبيرة أو بعض أحواض القنوات، وعلى عكس المواقع الأموية، تركزت المواقع العباسية غرب المنطقة المدروسة، أي في منطقة القنوات، ويبدو أنه قد بُنيت تحصينات صغيرة (مع خنادق) خلال تلك الفترة لحماية هذه القنوات، وهذا دليل على تمسك العباسيين بالحفاظ على أنظمة الري .

تجارة مدينة حماة في القرن السادس عشر

د.عد الحكيم
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

في بداية القرن السادس عشر في عهد السلطنة المملوكية كانت حماة مركزاً للنيابة الرابعة في بلاد الشام التي كانت مقسمة إلى ست نيابات حسب أهميتها هي (دمشق ـ حلب ـ طرابلس ـ حماة ـ صفد ـ الكرك).

ونيابة حماة كانت تمتد مابين الرستن والمعرة شمالاً وجنوباً ومابين سلمية ومصياف وكانت مركز نيابة مهمة لأسباب عديدة أهمها وجود سلالة من ملوك بني أيوب وبعد ملوك بني أيوب كان يديرها نائب عن السلطان المملوكي بالقاهرة وحين فتح السلطان سليم دمشق (٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م) أقام فيها بعض الوقت ينظم حكم بلاد الشام وإدارة أقسامها، فقسمها إلى ثمانية سناجق وألوية منها لواء حماة.

أما السلطات التي كانت تمارس الحكم في لواء حماة كما في سائر ألوية الدولة العثمانية فهي ثلاثة (سلطة السطان ـ سلطة الوالي ـ سلطة رجال الإدارة في اللواء وعلى رأسهم أمير اللواء). في هذا اللواء لواء حماة كانت مدينة حماة إحدى المحطات الهامة على الطريق التجارية العالمية البرية ومركزاً مهماً من المراكز التي تعبرها قوافل الحج الآتية من الأناضول وسورية الشمالية والمتجهة منها إلى دمشق ثم الحجاز ذهاباً وإياباً كما كانت صلة الوصل بين أعظم مدينتين تجاريتين في الدولة العثمانية وهما حلب وطرابلس.

صلات حماة التجارية : كان التاجر الحموي رغم قلة رأس ماله النسبي من أنشط أقرانه موجوداً في معظم بقاع الشرق فقد ذكرته الوثائق تاجراً مهماً في حلب ودمشق وطرابلس ويافا وبغداد والقاهرة ومكة والمدينة واستانبول .. إلخ، كما وجدنا في أسواق حماة وقراها التجار المصريين والمغاربة والدمشقيين والأتراك وتجار الفرنجة من فرنسيين وبنادقة وإنكليز وسويديين. كان التاجر الحموي يحمل البضائع بأنواعها إلى تلك البلاد ويجلب منها بضائعها،

يحملها على الإبل والبغال ذهاباً وإياباً. وكانت الحركة التجارية تتم في أسواقها وخاناتها العامرة وسنتحدث بالتالي عن

١. البلاد التي كانت حماة تتاجر معها في القرن السادس عشر.

٢. خاناتها وأسواقها التجارية.

تجارة حماة مع حلب: مدينة حماة كما قيل عنها السوق الرئيسة لكل الشرق في القرن السادس عشر مع مينائها مدينة طرابلس حيث كانت حماة هي الطريق بينهما تعبر قوافل التجار ذاهباً وإياباً منها، فحماة كانت تستورد من حلب معظم ما تحتاجه من البضائع الواردة إليها من فارس والهند والأناضول وتصدر إليها الأغنام بكميات كبيرة[١] وحبال القنب والأقمشة الحموية والحرير وعصير الليمون والنارنج.

تجارة حماة مع دمشق: كانت تعتمد بشكل أساسي على قافلة الحج الإسلامي وعلى ما يأتيها من مصر وحلب من البضائع [٢] هذا بعد أن فقدت شهرتها كمركز تجاري في القرن /١٦/ على أيدي تيمورلنك، أما التاجر الدمشقي فكان يستورد من حماة الأقمشة الحموية وخام القدموس والحرير والعفص والحنطة ويورد الجلود المدبوغة والقماش والحرير الشامي وخام الشام [٣].

تجارة حماة مع طرابلس: كانت طرابلس منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن السادس عشر ميناء سورية الأول، فكان الحمويون يحملون إليها الصوف والأقمشة والأغنام والعفص والفستق الذي اشتروه من أسواق حلب والجلود المدبوغة ويستوردون الحناء وقصب السكر والنارنج والكتان والأرز.

تجارة حماة مع بلاد الشام الأخرى: كان لحماة تجارة مع بعلبك وصفد وغزة وحمص القدموس ومصياف وإدلب حيث يستوردون من تلك البلاد الأقمشة والصابون والجوخ الصفدي والقماش البعلبكي ومناديل حمص الحريرية الملونة[٤].

تجارة حماة مع مصر: كانت تجارة حماة مع مصر من أروج التجارات في بلاد الشام إما عن طريق البر أو البحر، فكان التاجر يحمل إلى مصر الخام البلدي الحموي والخشب والحرير والبسط ويستورد منها الأرز والبن والحناء والورق الأبيض والقماش المصري بأنواعه.

تجارة حماة مع مكة: كان التاجر الحموي يستفيد من قافلة الحج فيحمل إلى مكة بضائعه من أقمشة وشاش ويعود منها ومعه أحمال البن والشاي والبهار[٥].

تجارة حماة مع الأناضول: لقد وجد التاجر الحموي في استانبول وبيلان أدنه وغيرها أسواقاً يحمل إليها القطن وقطعان الماعز ويستورد منها الكتان والفلفل.

تجارة حماة مع العراق: كان الحمويون يستوردون جلود الجاموس وبزر دودة القز من بلدة هيت القريبة من بغداد والثياب البغدادية والأقمشة الموصلية كما وصلوا إلى هرمز وجلبوا الأقمشة الهرمزية كما جلبوا ألبسة سمرقند الفستقية وأقمشة اليمن وخزف الصين.

نشاط التجار الإفرنجة في حماة: كان للأوربيين تجارة واسعة في بلاد الشام كتجار البنادقة وجنوه وبيزا وتجار فرنسا فحماة كان يؤمها تجار من تلك البلاد لشراء مايلزمهم وذلك عن طريق وكيل يقوم مقامه في كل أعماله، كما كانوا يستعينون بالتراجمة، هؤلاء التجار كانوا يستوردون من حماة الصوف وثياب الخام والجوخ والتوابل والبطائن ويجلبون الأقمشة والنحاس والفضة والقصدير والورق.

حماية قوافل التجار الفرنجة: حرصاً على سلامة القوافل من قطاع الطرق كان والي حلب أو أمير لواء حماة يرسل كتخداه مع ثلة من الجنود لحماية كل قافلة لقاء أجر يتقاضاه أصحاب القوافل من الأوربيين.

خانات حماة: في القرن السادس عشر كان في حماة خمسة وعشرين خاناً معظمها يتجمع في سوق المنصورية وسوق الموقف وسوق الأعلى، من هذه الخانات ما كان مخصصاً للسكن فقط ومنها سوق للبضائع وللبيع والشراء أهمها الخان الجديد أو خان السبيل، وخان رستم وخان دار الوكالة، وخان الشيخي، وخان النبي، وخان الطحين، وخان اللبن.

أسواق حماة: في حماة أسواق هامة متعددة، وهي منظمة ومرتبة منها سوق المنصورية الذي بناه الملك المنصور الأيوبي وسوق الربع العلي ويسمى بالقاسارية والسوق الأعلى وسوق الدق وسوق الغزل وسوق القطن وسوق التجار في هذه الأسواق، وكانت تتداول عملة مختلفة منها الفضي والنحاسي والعثماني والمملوكي حيث تضرب هذه النقود في حلب أو استانبول وترسل لحماة مع رجل يدعى الحوالة ليشرف على توزيعها بالأسواق مقابل النقود المتداولة وأهمها الدرهم العثماني، والحلبي، والشاهية، والأشرفي.

هذه لمحة موجزة عن التجارة في حماة وعن أهميتها التجارية في القرن /١٦/ بالنسبة لموقعها على الطريق التجارية بين حلب وطرابلس.

الهوامش:

١ـ سجل محاكم شرعية حماة رقم /١٦/ ص٥١٣، وثيقة /٢٧٣٠/ عام ٩٧٩هـ ـ ١٥٧١م.

٢ـ كتاب الجاليات الأوربية في بلاد الشام د. ليلى الصباغ ص٢٠٧ .

٣ـ سجل محاكم شرعية حماة /١٧/ ص٥٣٠، وثيقة /٣٢٤٣/ عام ٩٨٢هـ.

٤ـ سجل محاكم شرعية حماة /١٣/ ص١٥٥، وثيقة/٦٤٤/ عام ٩٧٣هـ.

٥ـ سجل محاكم شرعية حماة /١١/ ص٢٢٦، وثيقة /١٤٦١/ عام ٩٧٠هـ.

حكاية الحدود بين البادية والمعمورة في سورية الوسطى في أواخر العهد العثماني

محمد الدبيات
(المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، سورية)

حتى مطلع القرن التاسع عشر كانت البادية، التي تجوبها قطعان المواشي العائدة للقبائل البدوية الرحل، تصل حتى نهر العاصي في سورية الوسطى، فقد هجرت العديد من البلدات والقرى الواقعة الى الغرب من البادية لأكثر من أربعة قرون ونصف وذلك منذ آخر غزوة مغولية في نهاية القرن الرابع عشر، وكان محور الطريق دمشق ـ حلب يشكل الحد الفاصل بين الأراضي الزراعية إلى الغرب والبادية الى الشرق منه.

وهكذا لم يبدأ توسع الأراضي الزراعية الى الشرق من نهر العاصي من جديد إلا في منتصف القرن التاسع عشر، وذلك عندما قام الباب العالي بالعمل على توسيع مجال سلطته على المناطق الهامشية من بلاد الشام، أي تلك الأراضي المحصورة بين البادية والمعمورة والتي تشكل مجال الانتقال بينهما، والسيطرة على القبائل التي تسود البادية وذلك لزيادة المساحات المزروعة لاسيما بالحبوب، ولتأمين سير القوافل التجارية بأمان على الطرق العابرة للبادية، كطريق استنبول ـ بغداد أو حلب ـ الخليج العربي، وحماية الحواضر من هجمات القبائل البدوية. ومن أجل إنجاح هذه السياسة، قدمت السلطات العثمانية إلى السكان الجدد تسهيلات وتشجيعات عديدة منها: إعفاؤهم من الخدمة العسكرية في جيوش السلطان، ومن الضرائب، ومنحهم السلاح وبعض المساعدات المادية، وهكذا استعادت تدمر نشاطها كمحطة تجارية، ونهضت مدينة سلمية من جديد عام ١٨٤٨، ونشأت قرى عديدة على أطلال مواقع أثرية سكنت سابقاً، وحلت الأراضي الزراعية محل المراعي، ورافق ذلك إحياء الإنشاءات المائية القديمة المهجورة كالأقنية وشبكات الري والآبار.

هذه السياسة ليست جديدة، لقد عرفت البادية في سورية الوسطى باستمرار، وعبر العصور، تمدداً وتقلصاً اعتمد بشكل أساس، وقبل الظروف الطبيعية، على قوة السلطة

المركزية واستتباب الأمن في هذه المناطق التي يتنازعها الفلاحون والرعاة، وهكذا نستطيع أن نقول إن حدود البادية لم تكن أبداً ثابتة وواضحة إن كان قديماً أم في العهد العثماني، فهي حدود متبدلة تبعاً للظروف البشرية بشكل أساس. ويشهد على ذلك العدد الكبير من المواقع الاثرية، المسكونة حالياً وغير المسكونة.

أخيراً، تتعرض هذه المداخلة إلى ديناميـة هذه الحدود عبر العصور مع التركيز على تجلياتها عبر إعادة الإعمار في أواخر العهد العثماني.

قلعة معرة النعمان
إحدى بوابات سورية الوسطى

محمود حريتاني
(جامعة حلب، سورية)

تتمتع منطقة معرة النعمان بموقع هام على الطريق الذي سلكه الفرنجة بعد دخولهم سورية في مسيرهم نحو القدس، فهي قريبة من إمارتهم التي شكلوها في أنطاكية، وتقع على المدخل الشمالي لسهل الغاب، أحد أهم وأكبر وأقدم الطرق بين الشمال السوري وجنوبه، فضلاً عن خصوبة أراضي السهل وكثرة خيراته، وهذه إحدى أهم أهداف الاحتلال الفرنجي، وخاصة في الإغارة الدائمة على سورية الداخلية، والتي ميزت الفترات الأولى من تاريخ الإمارات الفرنجية على الساحل والداخل على السواء.

أما قلعة المعرة فهي من بين أولى القلاع في الطريق إلى الجنوب، وخاصة أمام مسيرة أفراد الحملة الصليبية الأولى التي ضمت الفرسان والعدد الأكبر من الفقراء وعامة الشعب في أوربا، فضلاً عن الرعاع وعصابات التافور[١]. كما هي من أهم قرى المواقع الأثرية في منطقة الكتلة الكلسية[٢] واعتبرت لذلك من المواقع الاستراتيجية أيضاً، وسوف نبين بعد أن تتكامل الأعمال الهندسية والطوبوغرافية، تاريخ القلعة وطراز بنائها وخاصة تحصيناتها الضخمة التي لاتزال ماثلة إلى العيان حتى اليوم: خندقها العميق وقد حفرت أجزاؤه في الصخر، بقايا عضادة الجسر الموصل إلى مدخل القلعة، أبراجها المرتفعة بجدرانها السميكة وحجارتها الهرقلية.

يذكر المؤرخ الفرنسي غرسيّة أن محاولة صليبية جرت في تموز ١٠٩٨م لاحتلال القلعة فأخفقت، ولكن في أواخر عام ١٠٩٨م، هاجم أفراد الحملة الصليبية الأولى من الفرنجة قلعة المعرة، وخاصة وأنهم ربما علموا أن أهالي المعرة قد طلبوا من رضوان صاحب حلب وجناح الدولة إرسال النجدات لمساعدتهم وقد باءت طلباتهم هذه بالفشل، ولكن وعلى وجه الدقة قبل ثلاثة أيام من انتهاء شهر تشرين الثاني[٣] بدأ الهجوم، ورغم استعدادات الفرنجة الكبيرة

حسب رواية المؤرخ المجهول فقد باءت حملتهم بالفشل. في اليوم التالي نصب الفرنجة برجاً خشبياً ضخماً وعالياً أمام أسوار القلعة، واحتدم القتال مع إلقاء النار الغريغورية حتى عصر اليوم الحادي عشر من كانون الأول، وكان النقابون الفرنجة تحت البرج الخشبي قد أحدثوا ثغرة في سور القلعة، خلقت خوفاً لدى المدافعين عن القلعة، وفي عصر ذلك اليوم طلب بوهيموند قائد الفرنجة المهاجمين، بطريق الترجمة، من سكان القلعة اللجوء إلى (قصر) قريب من باب القلعة وسيضمن لهم حياتهم مقابل دفع فدية مقبولة، فانصاع المدافعون لهذا الطلب فذهب بعضهم إلى المكان المعين وآخرون إلى مغاور القلعة، ووقف القتال.

دخل الفرنجة القلعة وتم في البدء نهبها حتى كل ما وجد في المخابيء والمغاور التي تنتشر في القلعة ولازالت حتى اليوم موجودة.

في اليوم التالي لدخول الفرنجة قلعة المعرة حدثت المجزرة الرهيبة، وامتلأت الجثث في كل مكان، ثم إن بوهيموند قد حنث بوعده منذ اليوم السابق حين دخل «القصر» الذي احتمى فيه بعض المدافعين، فنهب ما يملكونه وقتل البعض، وأرسل البعض الآخر إلى أنطاكية ليبيعهم عبيداً.

لقد اختلف المؤرخون الفرنجة والعرب على السواء حول تقدير عدد القتلى خلال مجزرة القلعة ومرد الاختلاف يعود إلى كثرة عددهم بحيث شمل المدافعين وسكان القلعة من رجال ونساء وأطفال.

لكن المؤرخ المجهول الذي أرخ لحادثة الاحتلال، كشاهد عيان، والمؤرخين العرب فيما بعد، اتفقوا على الحدث الفريد من نوعه في احتلال قلعة المعرة وهو: أكل لحوم الجيف. «فهل التهم الغربيون سكان المدينة بهدف أوحد هو البقاء على قيد الحياة؟! أم أن عصابات من الفرنج المشحونين بالتعصب وخاصة جماعة الطفور أو التافور الذين انتشروا في الأرياف وهم يجارون بأنهم راغبون في قضم لحم المسلمين، هم الذي نعتوا بآكلة لحوم البشر؟» أم أن بقر بطون الموتى تفتيشاً عما كانوا قد ابتلعوه من المواد الثمينة هو السبب؟ ثم عمدوا إلى شيّهم والتهامهم! حتى الأطفال منهم. وفي هذا الصدد تظل عبارة المؤرخ الفرنجي «البير دكس» الذي شارك بشخصه في معركة المعرة والتي تعتبر عديمة المثل في فظاعتها حيث قال: «لم تكن جماعتنا لتأنف من أكل قتلى الأتراك والعرب بل كانت تأكل الكلاب أيضاً[١]».

الوسطى، بمينائي طرابلس، التي أصبح الدفاع عنها ممكناً ببناء (أو إصلاح) القلعة الواقعة إلى الشرق من الميناء، واللاذقية وكانت صهيون مركز الدفاع عنها. ومن ثم فإن السويدية، ميناء أنطاكية، لم يعن بها (وكانت الأتربة قد سدت ميناءها).

٦ـ إن مدناً مثل حماة وحمص وكفر طاب وسرمين وأنطاكية كانت تقع وسط سهول خصبة تنتج الحبوب والزيتون والفواكه، وبذلك يمكنها أن تؤوي عدداً كبيراً (نسبياً) من السكان، وقد تزود المناطق المجاورة لها شرقاً ببعض حاجاتها، فضلاً عن ذلك فإن السهوب الممتدة إلى الشرق من حماة وحمص كانت تدفع بكتل بشرية منها إلى هاتين المدينتين وماجاورهما.

٧ـ كانت حلب ملتقى طرق تجارية من طوروس وارمينيا، شمالاً ومن شمال وادي الرافدين شرقاً، ومن أنطاكية غرباً ومن دمشق وما والاها جنوباً، فكان ذلك مدعاة لنموها وتطورها، ومادمنا نتحدث عن طرق التجارة فلنشر إلى أن حمص كانت تتصل بطرابلس، وحماة ذات صلة باللاذقية ـ وهذا أمر مهم في تطور المدينتين الداخليتين، ومثل ذلك يقال، ولو على درجة أقل، عن سرمين (بين حلب واللاذقية) وكفر طاب التي كانت تقع بين حماة وحمص (ولو أن الإتجاه لم يكن على خط مستقيم).

٨ـ ليس من المصادفة أن حلب كانت تتمتع بوجود قلعة فيها منذ أقدم تاريخها، كانت نقطة الدفاع عن شمال بلاد الشام، كما كانت مهمة للمماليك الذين كانوا يقودون حملات عسكرية ضد أرمينية وجوارها، ولكي يتم خط الدفاع فقد كان ثمة اهتمام بحارم وإعزاز، وبذلك يصبح الخط الممتد من حلب إلى صهيون صالحاً للدفاع والهجوم أيضاً.

إن هذه الأمور التي عرضت هنا مختصرة، ستكون موضع دراسة وتحليل في المستقبل.

سلمية كمركز مهم
من المراكز الحضارية في سورية الوسطى

أ.د محمد زيود
جامعة الكويت، الكويت

تتناول الدراسة موقع سلمية واسمها، ودورها الحضاري، وتقدم فكرة عامة عن تاريخها، وبعض مظاهرها الحضارية، وتركز الدراسة على المدينة في العصرالإسلامي، ولاسيما في العصور العباسية، بعد أن أصبحت مقرا ودار هجرة الائمة الاسماعيليين، واتباعهم، وفيها ومنها نهض دعاتهم لجميع الاتجاهات في الدولة الإسلامية، حاملين شعارات الائمة، ودعوتهم لإمام منتظر، يتطلع إليه الفقراء والمضطهدين، والمؤمنين بالإصلاح والمتطلعين لعودة الدين إلى اصوله الأولى.

ولم توجد بلدة أو إقليم إلا وكان به احد دعاتهم حتى كثر هؤلاء وزاد المؤمنين بهم، وبمعتقداتهم، ولقد أثمرت تلك الدعوات التي التي فاضت من سلمية، وأتت أكلها، وحققت نجاحات سياسية، بدات في اليمن، ثم كان قيام دولة مستقلة لهم في المغرب، بمولد خلافة فاطمية أعلنت في القيروان في مطلع عام ٢٩٧هـ، وأخذت على عاتقها توحيد العالم الإسلامي والقضاء على الخلافة العباسية في بغداد حسب زعمها، وهي وإن لم تحقق شعارها الكبير إلا أنها قطعت شوطاً كبيراً على هذا الطريق.

والأهم من ذلك تلك المآثر الحضارية والفكرية التي فاضت عن دعاة هذه المدينة الصغيرة، وظهر من آثارها تلك المدن المهمة التي شغلت أدوارا مميزة في التاريخ، والتي تعد سلمية أماً لها كالمهدية والمنصورية في المغرب العربي، والقاهرة المعزية في المشرق، إضافة إلى قيام حركات سياسية استمدت منها وطروحات دعاتها مقومات وجودها، كالدعوة القرمطية في جنوب العراق والبحرين، والإسماعلية الجديدة في خراسان، وقيام دولتهم في قلعة «آلموت» وقبلها قيام الإمارة المستقلة بزعامة الصليحيين في اليمن، وجميعها كانت ترنو بأبصارها بشكل أو بآخر إلى الخلافة الفاطمية في المغرب ثم القاهرة.

١٩٨٥، وقد استند هذا المخطط إلى دراسات وإحصائيات شاملة من كافة النواحي المتعلقة بالمدينة (كالسكن ـ العمل ـ الترفيه ـ المواصلات)، وقد حدد المخطط ونظام ضابطة البناء المرافق له استعمالات الأراضي كمايلي:

المناطق السكنية وتقسم إلى ثلاث فئات

المناطق التجارية وتقسم إلى فئتين.

المناطق الصناعية وتقسم إلى أربع فئات.

المناطق السياحية وتقسم إلى فئتين.

المناطق الخضراء وتقسم إلى ست فئات.

مناطق تربية الأغنام وبيعها والمسالخ.

ومن الملاحظ بأن المخطط لم يستند إلى دراسة شاملة للإقليم الذي تتأثر به مدينة حماة كما لم يراع الخصائص والمزايا التي تتمتع بها المدينة، فاختار للشوارع النظام الشطرنجي الذي لا يتلاءم مع الطبيعة الطبوغرافية للمدينة، كما لحظ بعض مناطق التوسع السكني في الأراضي المروية الخصبة.

٣ـ مخطط شركة الدراسات والاستشارات الفنية الذي يرسم تطور المدينة من عام ١٩٨٥ لعام ٢٠١٠، وقد حدد مساحة المدينة بحدود ٧٠٠٠ هكتار، وعدد السكان بخمسمائة الف نسمة عام ٢٠١٠، وقد استند المخطط إلى إحصائيات ودراسات شاملة للمدينة وللإقليم الذي تتأثر به المدينة.

من ميزات هذا المخطط استبعاد مناطق الأراضي الزراعية المروية الخصبة من مناطق التوسع الذي سبق لمخطط دوكسيادس أن لحظها كمناطق توسع، إضافة إلى اختصار مناطق التوسع في الأراضي التي لا يزيد ارتفاعها عن منسوب مأخذ مياه الشرب لكي لا تحتاج تلك المناطق إلى عمليات ضخ، أما بالنسبة إلى الشوارع الرئيسة فقد تم تحويلها من الأسلوب الشطرنجي إلى الأسلوب الحلقي وبما يتلاءم مع الطبيعة الطبوغرافية للمدينة.

ويؤخذ على المخطط التأخر في إنجازه فقد تم تصديقه في مطلع عام ١٩٩٦.

المدن وطرق التجارة
في سورية الوسطى أيام المماليك

نقولا زيادة
(الجامعة الأمريكية، لبنان)

١ـ إن الجغرافيين والمؤرخين العرب الذين تعرضوا إلى بلاد الشام في مؤلفاتهم، والذين كتبوا بين نهاية القرن العاشر ونهاية القرن الخامس عشر الميلاديين، أوردوا أسماء ستة وثلاثين موقعاً في سورية الوسطى سموها « المدن »، وأهم هؤلاء المؤلفين هم المقدسي والإدريسي وياقوت الحموي وابن شداد والدمشقي والعمري والقلقشندي والظاهري.

٢ـ في نهاية القرن الخامس عشر كانت الأوضاع في سورية الوسطى كما يلي، بالنسبة لهذه « المدن » الست والثلاثين: خمس منها كانت قد أصبحت أثراً بعد عين، وخمس كانت لاتزال قائمة ولكنها أصبحت قرى؛ وثلاث كانت « مراكز » للإدارة، وليست بذات أهمية؛ وكانت إحدى عشرة منها ماسمي بـ « بلدات صغيرة »، ولم يبق منها « مدناً » سوى اثنتي عشرة ـ وبعض هذا نما واتسع بحيث أصبح مدناً كبيرة ذات أهمية تجارية خاصة.

٣ـ إن التأخر (أو الانقراض) الذي أصاب المدن الأربع والعشرين يعود إلى الزلازل التي ضربت بعضها (مثل شيزر وأرواد) وهجمات المغول وخاصة حملة تيمور في مطلع القرن الخامس عشر والطاعون الذي أصاب البلاد، خاصة سنة ١٣٤٨، وتحول الطرق التجارية وتبدل اتجاهها بسبب إخراج الصليبيين نهائياً من بلاد الشام سنة ١٢٩١. إن تقصي هذه الأسباب لامكان له في « الخلاصة »، ولكنه سيبحث في المقال المفصل.

٤ـ إلا ان المدن الاثنتي عشرة التي استمرت وتطورت هي التي سنشير إليها في هذه الخلاصة، وهذه المدن هي أنطاكية واللاذقية وصهيون (قلعة صلاح الدين الآن) وطرابلس وإعزاز وحلب وسرمين وحارم وحماة ومعرة النعمان وكفر طاب وحمص.

٥ـ لما قام المماليك بإخراج الصليبيين وتم لهم الاستيلاء على بلاد الشام رأوا أنهم بحاجة إلى عدد محدود من الموانئ (لأن الدفاع عنها يكون أسهل)، فاهتموا، بالنسبة لسورية

بقي الفرنجة حتى اليوم الثالث عشر من كانون الثاني ١٠٩٩م عندما سلك الأزقة مئات منهم مسلحين بالمشاعل يضرمون النار في كل منزل، وفي الوقت نفسه التحق آخرون من التافور بأسوار القلعة يهدمونها حجراً حجراً. لماذا؟ نحن نعلم أن معظم فرسان الفرنجة في بلاد الشام، كانوا يفتشون عن إقطاعات لهم يمتلكونها كما يفعل غيرهم من أصحاب الإقطاعات في أوربا، ولما اختلف الفرسان حول متابعة المسيرة إلى القدس، وتلكأ بعضهم حيث فضّل البقاء في قلعة المعرة معتبراً إياها إقطاعاً مكتسباً، كان هناك في المقابل الفقراء الذين يريدون استئناف المسيرة ويعترضون على هذا التباطؤ، ولئلا تعتبر قلعة المعرة إقطاعاً، عمد هؤلاء إلى تدمير أسوارها تماماً، فلم يبق من أسوار هذه القلعة التي قاومت زحف الفرنجة إلا القليل.

سنحاول من خلال الدراسات الطبوغرافية وعن طريق الحاسوب أن نعرف شكل القلعة السابق الذي قاوم هذا الزحف.

لقد اعتبرت هذه القلعة بوابة لسورية الوسطى وهدفاً لهجوم الصليبيين على الداخل السوري وفي الطريق إلى القدس.

الهوامش:

(١) عصابات التافور كانت تجند في صفوف الصعاليك الأرمن الذين حاكوا حولهم خرافة أكلهم سجناء الحرب وهي خرافة رهيبة ذائعة الصيت. كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سيناء للنشر، ص٢٣٤.

(٢) التي كانت تعرف سابقاً بـ المدن الميتة، وقد تبين وجود بقايا أثرية في قلعة المعرة لازالت حتى الآن مثل لجفة الجامع المعاد استعمالها.

(٣) مؤرخ فرنجي مجهول تحدث عن الحملة الصليبية الأولى أكد هذا التاريخ.

(٤) أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب ترجمة الدكتور عفيف دمشقية ص٦٤.

مدينة حماة والتنظيم

رضوان اللاذقاني
(باحث ، سورية)

مقدمة تاريخية مختصرة عن نشأة المدينة وتطورها منذ الألف الخامسة قبل الميلاد وحتى اليوم وخضوعها لحكم السلالات السومرية والاكادية ـ العموريين ـ الفراعنة ـ الآراميين الفرس ـ اليونان ـ الرومان ـ العرب المسلمين ـ العثمانيين ـ الانتداب الفرنسي .

ميزات موقع المدينة التي أدت إلى استمرار الحياة فيها رغم تعرضها للعديد من الكوارث الطبيعية والحروب المدمرة ، فوجود نهر العاصي والأراضي الزراعية على ضفتيه والتغلب على مسالة رفع المياه للسقاية بواسطة النواعير ووجود مرتفع حصين هي العوامل الأساس التي أدت إلى استمرار الحياة فيها .

تطور عدد السكان وفق الإحصاءات والتعدادات الرسمية في الأعوام ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠ ـ ١٩٩٠ ـ ١٩٩٥ .

المخططات التنظيمية:

١ ـ أول مخطط تنظيمي أعده الفرنسي إيكوشار عام ١٩٤٤ وكان مترافقاً مع نظام لضابطة البناء ، فقد حدد المخطط استعمالات الأراضي وبعض مناطق التوسع بثمانية أنواع (مسكن قصور ـ دور سكن حديثة ـ أبنية تجارية ـ سكن أرباب الحرف ـ أبنية طراز محلي ـ أبنية مضرة بالصحة ـ منطقة حماية البساتين ـ منطقة حقول زراعية) ، ومن ميزات المخطط أنه كان بسيطاً ولم يستند إلى دراسات شاملة للمدينة ولا للإقليم ولم يحدد فيه عدد السكان ولا المدة الزمنية له .

٢ ـ مخطط شركة دوكسيادس اليونانية الذي رسم تطور المدينة من عام ١٩٦٠ ـ لعام ١٩٨٥ ، وتوقع أن تبلغ مساحة المدينة ٢٤٠٠ هكتاراً وعدد السكان ٢٠٠٠٠٠ نسمة في عام

لقد كانت سلمية من المراكز المهمة، وخلقت عالما جديدا في الأقاليم الإسلامية، وقاد ذلك لنتائج كبيرة على جميع المستويات الفكرية والحضارية والعسكرية والسياسية والاجتماعية، مما لايمكن تجاهله أو تجاوزه في تاريخنا العربي الإسلامي، سواء جاء ذلك سلبا أو إيجابا.

.فعلى المستوى الفكري فقد رافق هذه الدعوة الإسماعيلية المنظمة حركات فكرية مهمة، فرضت وجودها خلال فترات طويلة من التاريخ الإسلامي، وحضارته، نذكر منها جماعة إخوان الصفاء إلى جانب مجموعة كثيرة من الدعاة والعلماء، اعتبر بعضهم علما من أعلام الحضارة الإسلامية والبشرية أيضا، يأتي على رأسهم الشيخ الرئيس ابن سينا، وكذلك دعاة مميزين، مهما قيل عنهم أو قذفوا بأقوال كثيرة يرجع بعضها لخلافات سياسية متاصلة، لايمكن إنكارهم، أو تجاوزهم، وهؤلاء الدعاة أعلاما في أقاليهم الإسلامية، وساهموا مساهمة كبيرة في دعم الحضارة الإسلامية، وتأثروا بالحضارات القديمة، وخرجوا بأفكار جديدة وهي وان اعتبرت شاذة وصنف بعضها في مجال الزندقة، فلا تزال آثارها واضحة حتى الآن بشكل لا يمكن إنكاره مهما الصق بها من أقوال، ولايزال تراث تلك الدعوة الإسماعيلية مجال جدل ونقاش وسيبقى مصدر بحث العلماء والكتاب والناقدين، ومجال خلاف في وجهات النظر وتباينها.

ولاتتطرق الدراسة إلى المعتقدات، ولاتحاول أن تدفع القارئ إلى التفكير فيها، وهي تهدف إلى إبراز الدور المهم لبلد صغير، يمثل جزءا مهما من سورية الوسطى التي تؤلف مع الأقاليم الأخرى تلك الأهمية الكبرى لسورية الكبرى أو ما يسمى في العصر الإسلامي بلاد الشام.

فغاية البحث إبراز أهمية سلمية وحماة باعتبارها قطعة من الشام، وتوجيه الأنظار إليه حيث كان ولا يزال وسيبقى بجميع أجزائه وأقسامه وبلدانه مهما صغرت لها سمات خاصة مميزة حافظت عليها عبر العصور، وستظل الشام كذلك مصدر قوة وقلق لكل من يحاول النيل منها، وهي قادرة على ذلك، وتاريخها شاهد ولديه الأدلة الواضحة.

بلاد الشام من وجهة نظر الرحالة المغاربة والأندلسيين

رضوان البارودي
(جامعة طنطا، مصر)

احتلت بلاد المشرق عموماً والشام خصوصاً مكانة خاصة عند المغاربة والأندلسيين، فالفتح العربي الاسلامي لهذه البلاد إنما تم على أيدي القبائل العربية التي تمثل العناصر الشامية فيها قسما كبيراً، ثم وفد الكثير من هذه العناصر الشامية الى بلاد الأندلس عقب سقوط دولة الأمويين بالمشرق عام ١٣٢هـ على أيدي العباسيين، ولذلك كان من الطبيعي أن يحن هؤلاء الشاميون الذين هاجروا الى الأندلس الى بلادهم الأصلية، فحاولوا أن يجعلوا من الأندلس شاما ثانية في زروعها واسمائها وعاداتها وتقاليدها بل وحتى في اعتناق مذهب الامام الاوزاعي (ولد في بعلبك عام ٨٨هـ/٧٠٧م).

ولاشك أن هذا الحنين الى الشام إزداد مع مر الأيام خاصة حينما بدأت بلاد المغرب والأندلس تتطلع الى الشرق لتنهل من التقدم الحضاري الذي ازدهر في هذه المنطقة من العالم، فكثرت رحلات المغاربة والأندلسيين الى بلاد الشام وسجلوا في رحلاتهم ما شاهدوه في هذه البلاد من مظاهر التقدم الحضاري الإسلامي على كافة الاصعدة، وكان الجانب الاجتماعي والاقتصادي من أكثر الجوانب التي استدعت انتباه الرحالة المغاربة والأندلسيين في بلاد الشام، فهذا الرحالة ابن جبير الأندلسي يسجل لنا ما شاهده في الشام ويحدثنا عن المنشآت الاجتماعية بها وخاصة ما قام به الناصر صلاح الدين الأيوبي وعنايته الفائقة بإنشاء المكاتب الخاصة بتعليم الأيتام حيث أوقف بعض الأوقاف للصرف على هذه المكاتب، كما يشير ابن جبير أيضاً الى ما قام به نور الدين محمود من إنشاء بيمارستان (مستشفى) كبير في دمشق اعتبره هذا الرحالة مفخر عظيم من مفاخر الاسلام، حتى أن السلطان نور الدين نفسه كان يتناول الدواء من هذه البيمارستان، أما الحمامات في الشام فكان لها نصيب كبير في وصف الرحالة الأندلسيين. وسنحاول من خلال هذه الورقة أن نعطي صورة واضحة عما رآه هؤلاء الرحالة من مظاهر التقدم الحضاري في بلاد الشام وكيف نقلوا ما شاهدوه إلى ذويهم في بلاد المشرق والأندلس.

الحفاظ على الفسيفساء في سورية

ميشيل بيشريلو - ألسندرو فيراري - عبد الرزاق زقزوق
(المعهد الأثري الفرنسيسكاني، الأردن - المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

مع توسع البحوث في مجال الفسيفساء القديمة، أخذت سورية تحتل دوراً رئيساً بين مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، وكنتيجة للأبحاث الحالية في سورية الوسطى، فقد تركز العمل في مدينة أفامية القديمة والمنطقة المحيطة بحماة على طول نهر العاصي.

لقد أخذت المديرية العامة للآثار على عاتقها مسؤولية هذا التراث التاريخي الفني، ومع تقدم التقنيات المستعملة في الترميم والصيانة وأساليب العرض، فلا بد من ملائمة الأعمال القديمة، وإعداد البرامج الخاصة باستخدام التقنيات الحديثة، وبنتيجة الخبرة المتراكمة والاستفادة من تجارب الآخرين، ولا سيما البلدان المجاورة كالأردن الذي طور مدرسة خاصة بترميم الفسيفساء بالتعاون مع الحكومة الإيطالية، فسيتم تقديم بعض الاقتراحات في هذا المجال، ونقترح ان يتم اختيار قطعة من الفسيفساء ما زالت في مكانها الاصلي كنموذج تتم عليه الإجراءات المقترحة ضمن برنامج للترميم للحفاظ عليها وعرضها للجمهور، ويهدف هذا المشروع الذي ستتولاه مجموعة من الخبراء إلى استخدام الطرق الصحيحة وتعليمها لطاقم سوري شاب على أن يتم تنظيم العملية كلها بحيث تكون كعملية تعليمية «في الموقع» من ألفها إلى يائها.

وقد تم اختيار لوحة من بين لوحات الفسيفساء، وهي اللوحة التي كشفها عبد الرزاق زقزوق عام ٨٥/١٩٨٧، وتعتبر ذات أهمية تاريخية وفنية كبيرة، وما تزال في مكانها في كنيسة قرية طيبة الإمام التي تبعد حوالي ١٠ كم عن حماة، ويساهم الغنى المعماري في جناح الكنيسة وفي أجزاء أخرى منها في تصنيف اللوحة كواحدة من أهم الأعمال الفنية من هذا الطراز المكتشفة من العصر نفسه في إنطاكية وفي الأردن في كل من مآدبة ومعان وجرش وأم الرصاص.

لقد تم وضع المخططات والرسومات الخاصة بتغطية اللوحة ومخططها العام بين بيوت القرية وفقاً للمخططات التي زودنا بها المعماري أليساندرو فيراري.

تجربة ترميم في المكان لقبة من القرن الثالث عشر

فرج العش
(المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية)

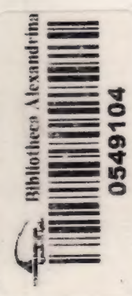
مع خطوات المديرية العامة للآثار والمتأحف المثمرة في أصول وأسس الترميم المناطة بها، فقد جاء هذا المشروع ليتم إنقاذ ما خلفته الظروف الطبيعية والبشرية لأحد أجمل البيوت العربية القديمة التي تملأ محافظة حمص وتضع كل الإمكانات والمخصصات مادية وبشرية لصالح هذا المشروع الوطني الكبير.

بعد أن قام المختصون في المديرية بالكشف والدراسة والتحليل لظواهر وظروف التلف والدمار الحاصل لمساح سقف الليوان في قصر الزهراوي، متحف الفلكلور الشعبي في المحافظة، تم إعداد الدراسة اللازمة للترميم والإنقاذ والتي تمثلت بالآتي:

- المحافظة على الهيكل والشكل العام للسقف دون أي هدم أو إزالة أو تغيير أو تعديل.
- تصنيع الهياكل المؤقتة اللازمة لحماية السقف وضمان ثباته أثناء المعالجة والترميم.
- تجهيز وشراء كافة المواد اللازمة للعمل وبادق تفاصيلها لضمان الترميم والسرعة وعدم حدوث أي إرباك لبرنامج الحماية والإنقاذ.
- الإعداد والتحضير للبرنامج الزمني بهدوء ودقة، وتخمير مادة الكلس الأساس في الحقن والترميم.
- يترأس مجموعة العمل مهندس مختص، ويقوم بالمساعدة والتنفيذ طاقم من الخبرات المهنية والحرفية والفنية العاملة في المديرية العامة للآثار إضافة للمتدربين.

المحتويـات





الطباعة وفرز الألوان مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٩